

سلطنة عمان

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

معد العلوم الشرعية

# مواقف منصفة لأهل الحق والاستقامة

" كلمات صريحة عبر بها كتابها عن ثنائهم الصادق للمذهب الإباضي "

## ( الحلقة الأولى )

إعداد

الطالب / يحيى بن أحمد بن علي بني عرابة

السنة الثالثة / أصول الدين

العام الجامعي : ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

چ (آل عمران / ۱۰۳)

﴿ ١٧٧ ﴾ "الإسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا "

﴿الناس منَّا ونحن منهم : إلا مشركًا عابد وثن أو كافرًا من أهل الكتاب أو إمامًا جائرًا﴾

2

﴿٥٦﴾ " نحن لم نَقم هنا عبثاً ولا لعباً ، وإنما أقمنا لله مقاماً نعز به دينه ، ونرضي به وجهه ، ونتقرب به إليه ، لا نرضى بفشل لأهل الحق ، ولا نخفي من كل وجه نقدر عليه مما يعز به الإسلام وأهله "

الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي

﴿٥٧﴾ " ليس لنا مذهب إلا الإسلام ، فمن ثمَّ تجدنا نقبل الحقَّ ممن جاء به وإن كان بغيضاً ، ونرد الباطل على من جاء به وإن كان حبيباً ، ونعرف الرجال بالحقِّ ، فالكبير عندنا من وافقه ، والصغير من خالفه ، ولم يشرع لنا ابن إباض مذهباً ، وإنما نُسبنا إليه لضرورة التمييز ، حين ذهب كلُّ فريق إلى طريق ، وأمَّا الدين فهو عندنا لم يتغير والحمد لله "

الإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي

وما الدين إلا واحد والذي نرى      ضلالات أتباع الهوى تتقارع  
وما ترك المختار ألف ديانة      ولا جاء في القرآن هذا التنازع  
فيا ليت أهل الدين لم يفرقوا      وليت نظام الدين لكل جامع

الشيخ أبو مسلم ناصر بن سالم البهلاني

﴿٥٨﴾ " وإنما نحن نطالب جميع الناس إمَّا أن يدرسوا المذهب الإباضي بإتقان وإمعان وتجرد ، بحيث لا تغشى العصبية أبصارهم عن درك الحقيقة ، وإمَّا أن يسكتوا عنَّا ، أمَّا أن يتهجموا من غير ليل ولا حجة ، ومن غير دراسة وإمعان في أصول المذهب ومعتقداته وتاريخ رجاله إلا ما يكتبه الكاتبون الحاقدون من المتقدمين والمتأخرين فليس ذلك من الإنصاف في شيء ، وإنما والحمد لله ندرس كتب جميع المسلمين من غير تفرقة بين مسلم ومسلم ونأخذ الحق متى نراه "

سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - ﷺ - وعلى آله وسلم .

فأما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله - ﷺ - وأحسن الهدي هدي محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، ، وبعد :

فمهما احلوك الظلام وطال الليل أو قصر ، فإنه لا بد أن يتبعه صباح مشرق يوضح معالم الطريق المستقيم ويبيّن أسنة الحق المبين ، وتكشف لمن عاش في الظلام الدامس بالأمس الحقيقة التي خفيت عنه عصوراً وأعواماً ، ومهما ظهرت لنا من أصوات مزعجة وصرخات صاخبة من قِبل الآخرين المعرضين " فليس من شأننا بحمد الله تعالى تتبع الهفوات أو تصيد العثرات أو الانتصار للنفس بأي وسيلة أو مواجهة الباطل بمثله ، فالكرام أسمى من ذلك منزلة وأظهر نفساً وأشد ورعاً ، ومن أجدر بذلك من أهل الحق والاستقامة الذين ما فتئوا ينصرون الإسلام ويدودون عن حياضه ، ويبددون سحب الباطل بأشعة الحق ، ويبذلون النفس والنفيس لإعلاء راية الإيمان ونشر العدل والفضيلة ، والتاريخ خير شاهدٍ على ذلك ، ومن شاء أن يعرف ذلك حق معرفته فليستقرئ ما سطرته أقلام أرباب التاريخ المنصفة حتى من غير أتباع هذا المذهب ، وسيرى - بمشيئة الله تعالى - ما تقر به عين طالب الحق وملتمس الحقيقة "(١).

و" إن الواجب ليقضي أن لا ننسى - في وسط هذه الضجة - التي أثارته تلك الأصوات الصاخبة ضد الإباضية - أصواتاً هادئة ارتفعت من السنة صادقة وانبعثت من نوايا طيبة لتسجل ثناءها الصادق على هذه الطائفة التي حافظت على الإسلام الحق ودافعت عنه بأعز ما تملك من نفس ومال واستقامت على الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله - ﷺ - وخلفاؤه الراشدون وأصحابه المهديون - رضي الله تعالى عنهم - ولم تختلبهم الدنيا بزهرتها الفاتنة عندما كان الجم الغفير من الناس يتهاكون عليها فيتساقطون في أشراكها .

لقد قيض الله هذه الأصوات لتتير درب الحقيقة لطلابها وتمزق ما نسجته الأحقاد من الافتراءات التي لم تقم على أساس من الواقع ضد هذه الفئة المؤمنة التي اشتهرت في أوساط المؤمنين وغيرهم بلقب الإباضية ، ولست الآن في مقام الإحصاء لهاتيك الأصوات ومصادرها ، فإن الفرصة لا تسمح لي بذلك وإنما أكتفي بأن أسجل لأصحابها عموماً أجمل الثناء وأطيب

<sup>١</sup> الطوفان الجارف لكاتب البغي والعنوان ، الشيخ العلامة سعيد بن مبروك القنوبي - حفظه الله تعالى ورعاه - ، ( د . ر ) ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ص ٤ .

الدعاء وأود أن أشير إلى بعض هؤلاء المنصفين لأعرض على القارئ الكريم صوراً من إنصافهم لهذا المذهب ورجاله وإلى القارئ مشاهد من هذه الصور <sup>(١)</sup> :

هؤلاء جملة من الكتاب والمفكرين والباحثين أبدوا آراءهم في المذهب الإباضي بكل إنصاف وحرية ، بعيداً عن الغلو والتطرف والتقليد والأعمى ، جمعتها لك أخي القارئ الكريم ، وكان منهجي فيها :

١- جمعها في حلقات تصدر متتالية ، وفي كل حلقة عشر شخصيات قد أبدت كل واحدة منها رأيها في المذهب الإباضي ، ورتبتها ترتيباً أبجدياً حسب أسماء هذه الشخصيات .

٣- نقلت نصوص هؤلاء الكتاب من كتبهم ومؤلفاتهم دون زيادة ولا نقصان ، ووثقت ذلك في نهاية كل مقال في الحاشية ، ولم أكتف بذكر مقطع واحد لكل كاتب من هؤلاء الكتاب - إلا إذا لم أجد - حتى يتأكد رأيهم وقوله في المذهب الإباضي في أكثر من موضع .

٤- نقلت الآراء دون تعليق أو شرح أو توضيح حتى يحكم القارئ الكريم بنفسه على هذه الآراء ، ولعله يخالفني برأيه في بعضها ، ولكل واحدٍ منّا رأيه .

تنبيهات :

١- تجمع هذه الشخصيات بين من يعترف بعدالة المذهب الإباضي ، واستقامته في المبادئ والسلوك ، وسيره في طريق الإسلام ولكنه يقيهم في زمرة الخوارج ، وبين من يخرجهم من فرق الخوارج ويعترف أنهم لا علاقة لهم بالخوارج ، ويشهد لهم باستقامة السلوك واعتدال مبادئهم وسيرهم على طريق الإسلام ويعتبرهم إحدى الفرق الإسلامية المتمسكة بتعاليم دينها ، والتي اتخذت الله سبحانه وتعالى رباً لها ، ومحمد - ﷺ - نبياً ورسولاً ، والقرآن دستوراً ، والكعبة قبله ، تجتمع مع الفرق الإسلامية الأخرى وتتفق معها في الأصول وتختلف معها في شيء من الفروع .

٢- اختلف هؤلاء الكتاب في كتابة همزة " الإباضية " فبعضهم يكتبها بالفتح وبعضهم بالكسر ، كما سيلاحظ القارئ الكريم ذلك بنفسه ، والخلاف موجود عند أصحاب المذهب أنفسهم .

<sup>١</sup> الحق الدامغ ، سماحة شيخنا العلامة أحمد بن حمد الخليلي - حفظه الله تعالى ورعاه - ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ، السيب - سلطنة عمان ، ط٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ص ٢٣٠ .

والآن - أخي القارئ - أترك مع مادة هذا البحث ، والذي ضم حلقتين من هذا العمل -  
( الأولى والثانية ) .

والله تبارك وتعالى ولي التوفيق

يحيى بن أحمد بن علي بن عرابة

ليلة الجمعة المباركة

٧ / ربيع الثاني / ١٤٣٠ هـ

الموافق ٣ / إبريل / ٢٠٠٩ م

روي

١- قد أجاد **أحمد أمين** في وصف الإباضية ، وإن كان قد حشرهم في زمرة الخوارج ، غير أنه وصَفَهُم بما هم متصفون به من العدل والاستقامة ، وهذا إنصاف لهم وتحرٍ للحقيقة فيهم :

أ- فقد تحدث عن أدبهم فقال : " لقد كان في الخوارج كل العناصر التي تكون الأدب : عقيدة راسخة لا تززعها الأحداث ، وتحمس شديد لها تهون بجانبه الأرواح والأموال ، صراحة في القول والعمل لا تخشى بأساً ، ولا ترهب أحداً ، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير إلا كأحدهم ، ولا العظيم إلا خادهم ، ورُسِمَ الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه رسماً مستقيماً واضحاً لا عوج فيه ولا غموض ، يجب أن يعدل الخليفة والأمراء وإلا يقاتلوا حتى يعزلوا أو يُقْتَلُوا ، ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة من غير أن ينحرفوا عنها قيد شعرة ، وإلا يقاتلون ليحل محلهم مسلمون مخلصون طاهرون ، ويجب أن يسلك السبيل إلى ذلك من غير تقية ، ومن غير مجاملة ولا موارية ، ويجب أن يقابل الواقع كما هو ، ويشخص كما هو ، ويعالج كما هو على طريقة عمر بن الخطاب " (١) .

ب- وتحدث عن بعض صفاتهم فقال : " لكن الخوارج يغضبون للعقيدة وللإسلام عامة ، بقطع النظر عن الأشخاص ، وإن نظروا للأشخاص ففي ضوء العقيدة ، لا كما يفعل غيرهم من النظر إلى العقيدة في ضوء الأشخاص ، وقد يرثون ويبكون ، ولكنهم حتى في رثائهم وبكائهم أقوياء ، يذرفون الدمع ليسفكوا الدم ، ويكون الميت ليتشجع الحي ، ويؤبنون المفقود ؛ ليرسموا المثل الأعلى للموجود ، لا يعرفون هزلاً في الحياة ، فلا يعرفون هزلاً في الأدب ، ولا يعرفون خمراً ولا مجوناً ، فلا نجد في أدبهم خمراً ولا مجوناً ، إنما يعرفون الجهاد والقتال والتربية المتزمته القاسية التي تُخرِّج رجالاً أقوياء لا يحرصون على الحياة " (٢) .

٢- وكتبت **إدارة تحرير مجلة " النظام "** تحت باب " كلمة التضامن " مقالاً عنوانته بـ " الإباضية والدعوة لوحدة الأمة " ذكرت فيه الدور الذي قام بها علماء الإباضية بالدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية وجمع شتاتها ونبذ الفرقة :

أ- فقالت في فاتحة المقال : " لقد قام علماء الإباضية بالدعوة إلى وحدة أبناء هذه الأمة وجمع شتاتها ، ونبذ الفرقة والخلاف بين طوائفها ، والتقريب بين الآراء الاجتهادية ، وما ذلك إلا من حبهم لنصرة دين الله القويم ، وتنوعت أساليبهم في القيام بهذا الواجب الدعوي ، فمنهم من أظهر ذلك من خلال مؤلفاته ، والتي جمعت الأقوال الفقهية عند علماء المسلمين بمختلف مذاهبهم ومناقشة كل قول وفق هدي الإسلام دون النظر لقائله ولمذهبه ، فالحق أحق أن يتبع

<sup>١</sup> ضحى الإسلام أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - مصر ، ط ٨ ، ( د ، ت ) ، ج ٣ ، ص ٣٤٠ - ٢٤٠ .

<sup>٢</sup> ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٤١ .

ومنها من دعا إلى ذلك - أي إلى الوحدة - من خلال خطبه ومحاضراته بل وتدرّس كتب ومدونات المذاهب الإسلامية الأخرى ، فالحكمة ضالة المؤمن ، ومن علماء الإباضية من دعا إلى إقامة المؤتمرات الإسلامية بتوجيه الدعوة لأئمة العلم ليجتمعوا في المكان الذي يجتمع فيه المسلمون في البلد الحرام ، وذلك لمناقشة القضايا المختلف فيها وإبراز الحق فيها وتوجيه الأمة لأتباعها ، ودحض شبهات الباطل وبيان الزائف منها لتجنبه فتنجو من الهلاك وتتطلق هذه الأمة بالهدف الذي انطلق به المسلمون الأوائل شرقاً وغرباً ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ؛ ولنضرب بعض الأمثلة لهذا الدور على سبيل المثال لا الحصر<sup>(١)</sup> .

جـ- وفي نهاية المقال قالت إدارة تحرير المجلة : " هذه بعض الأمثلة والتي تكشف لنا حقيقة الهم الذي يؤرق علماء الإباضية من وجود هذا التنازع وهذه المذهبية بين أبناء الإسلام وعلماء الإباضية إذ ينطلقون بهذا المنطلق ويسعون لتحقيق هدف الوحدة والتآلف بين أبناء الإسلام الناشئ عن تمسكهم بدعوة الإسلام إلى الوحدة واعتصامهم بما يدعو إليه من ألفة ونبذ الشقاق

<sup>٢</sup> المرجع السابق ، ص ٩ .

والتنازع لهو دليل على إخلاص لله - ﷻ - وسعيهم لبناء حضارة الإسلام من جديد على أساس المنهج الرباني القويم <sup>(١)</sup> .

٣- وتحدث الدكتور **رجب محمد عبدالحليم** أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة القاهرة وجامعة السلطان قابوس عن الإباضية :

أ- فقال عن اتهام كثير من الكتاب للمذهب الإباضي : " اتهم الإباضية عند كثير من كتّاب الفرق والمذاهب خطأ بالغلو والتطرف ، وكان هذا الاتهام الذي جاء عمداً أو عن جهل ، لأهداف لا تخفى على الفطن واللبيب ودارس التاريخ الذي يقرأ كتب الإباضية ، ويلمس بنفسه ما عندهم من اعتدال ، ولا يكتفي بما كتبه القدامى عنهم ؛ لأن هؤلاء القدامى إنما كانوا يُعبرون - في غالب الأحيان - عن الموقف الرسمي للدولة سواء كانت أموية أم عباسية من الفرق المناهضة لها ، ولا يخفى أن الإباضية رغم اعتدالهم من الناحية المذهبية والفقهية ، إلا أنهم كانوا في عدااء سياسي مع دولة بني أمية ودولة بني العباس ؛ نظراً لأنهم كانوا يقولون بأن الإمامة أو الخلافة حق لأي مسلم صالح ، فلا تكون قاصرة على قريش ولا على بطونها المختلفة من الأمويين أو العباسيين أو العلويين ، ولما كان هذا الموقف السياسي للإباضية يلتقي من الناحية النظرية ، ومن الناحية الفكرية البحتة مع الخوارج الأزارقة والصفورية والنجادات ، فقد عمم كتّاب الفرق القول ووضعوا الإباضية ضمن هؤلاء الخوارج ، واعتبروهم فرقة رابعة من فرقهم ، ووصفوهم خطأ بالغلو والتطرف ، والإباضية أنفسهم وكما هو موجود في كتبهم القديمة والحديثة يتبرأون من هؤلاء الخوارج كل البراء بل ويقاثلونهم بأشد قتال .

ولذلك وجدنا أنفسنا وقد هيأ الله - ﷻ - لنا فرصة الاطلاع على كتب الإباضية ، وفرصة المعاشية لهذا النفر من المسلمين طوال أربع سنوات في سلطنة عمان ، نقول وجدنا أنفسنا مطالبين بأن نتتبع هذا المذهب في هذه الصفة ، صفة الاعتدال أو الغلو ، فوجدنا أن القوم على غير ما قيل عنهم ، ووجدنا حرصهم على تنفيذ ما أمر به الكتاب والسنة حرصاً شديداً حتى أنهم يتشددون على أنفسهم في بعض الأحيان ، ووجدنا سيرتهم في كتبهم تدل على أنهم كانوا ومنذ أن ظهوروا لا يميلون إلى الغلو والتطرف على أي نحو من الأنحاء ، ونحن هنا لن نكتفي بما ظهر عندهم من اعتدال في بلاد المغرب أو غيرها من البلدان التي انتشر فيها المذهب ،

<sup>١</sup> المرجع السابق ، ص ١١ .

وإنما كان علينا حتى تتم الفائدة ويتضح الأمر أن نقوم باستقصاء لهذه الصفة - أقصد صفة الاعتدال - منذ أن ظهر المذهب على أرض البصرة لنرى إن كانت هذه الصفة صفة أصيلة لازمت رجاله ومشايخه أم أنها صفة طارئة ظهرت عند القوم لأسباب سياسية أو لغيرها من الأسباب .

... والمذهب الإباضي يعتمد في أصوله على الكتاب والسنة ، ويتفق في كثير من أصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنة ، ولا يختلف معها إلا في مسائل قليلة ، اختلاف مذاهب السنة نفسها فيما بينها ، فلا يخلو منها مذهب لا يخالف غيره في قليل أو كثير من المسائل ، وما كان اعتماد المذهب الإباضي على الكتاب والسنة وعدم تباعده عن مذاهب السنة إلا لأن مؤسسه جابر بن زيد قد أخذ عن الصحابة الذين أخذ عنهم أصحاب هذه المذاهب من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ، بل إنه يمتاز على أصحاب هذه المذاهب في أنه أخذ عن الصحابة مباشرة بينما هم لم يأخذوا في معظمهم إلا من التابعين ، كما أن الأحاديث التي جمعها هو وغيره من علماء وفقهاء وجماع الأحاديث من الإباضية كالربيع بن حبيب وغيره ، ليست إلا أحاديث وردت عند البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة الحديث كأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارقطني والطبراني والبيهقي وغيرهم من أهل السنة والجماعة ، ولو اطلعت على كتاب مثل بيان الشرع وهو من أقدم كتب الفقه الإباضي لوجدته مليئاً بالأسانيد المأخوذة عن الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما من أئمة مذاهب أهل السنة ، فالمصدر واحد والمنبع واحد ، فلا غرابة أن يأتلف المذهب الإباضي مع مذاهب أهل السنة ، ولا غرابة أن يرى هذا الرأي بعض القدامى " (١) .

ب- وتحدث عن سياسة التسامح والاعتدال عند الإباضية فقال : " سياسة واضحة في التسامح والاعتدال تميّز بها الإباضية سواء في المشرق أو في المغرب ، وقد اقتضت هذه السياسة ألا يحرم الإباضية أنفسهم من الاستفادة من كتب أهل الخلاف ، أي الذين يخالفونهم في المذهب ، واقتدوا في ذلك بأوائلهم ، فعلى سبيل المثال كان عالم الإباضية في تاهرت أبو عبيدة الأعرج التميمي يدرس لطلابه " كتاب إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث " الذي ألفه عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكوفي المتوفي في عام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م ، وكان ابن الصغير المالكي صاحب كتاب أخبار الأئمة الرستميين يأتي إلى أبي عبيدة الأعرج ليدرس عليه هذا الكتاب .

<sup>١</sup> الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة ، رجب محمد عبدالحليم ، مكتبة الضامري ، السيب - سلطنة عمان ، ص ٥٩ .

وفي عمان نجد الشيخ أبا سعيد الكدومي يقرأ كتاب " الإشراف على مذاهب الأشراف " لأبي بكر النيسابوري الشافعي المتوفى عام ٣١٨هـ / ٩٣٠م ويدرسه ويعلق عليه ، وهو الكتاب الذي جمع فيه صاحبه معالم المذاهب الإسلامية المختلفة ، واقتدى علماء الإباضية من المغاربة بما فعله أبو سعيد ، فقام أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي بمطالعة كتاب الإشراف وغيره من تصانيف أهل الخلاف ، وهذا قليل من كثير مما يمكن أن يشار إليه في هذا الصدد .

إذن كانت سياسة الإباضية واضحة في الاعتدال والتسامح ، وواضحة أيضاً ضد الغلو والتطرف ، ومما يبرز لنا مواقف الإباضية ضد الغلو والتطرف ، وضد البدع والآراء الدخيلة على الإسلام ، ويؤكد حبهم للتسامح والاعتدال ، هو موقف أباضية عمان من مشكلة فكرية هي مشكلة خلق القرآن ، ومن مشكلة سياسية هي مشكلة الخوارج " (١) .

ج - وتحدث عن أخلاق الدعاة والتجار الإباضيين فقال : " إشارات كثيرة تدل على تواجد علماء وتجار الإباضية في بلاد السودان منذ أن ظهر المذهب الإباضي في مصر وبلاد المغرب وحتى نهاية العصور الوسطى ، وكان هؤلاء التجار وكما قلنا من أباضية المغرب والمشرق ، وقد تكاتف الفريقان على القيام بأعظم الأعمال والأفعال وأشدّها قربى إلى الله سبحانه وتعالى ، بذلوا غاية جهدهم في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين البربر والسودان ، خصوصاً وأنّ هؤلاء التجار اشتهروا بالصدق والأمانة حتى أن أمانات الناس كانت لا تجد مكاناً آمناً إلا عندهم ، كما اشتهروا أيضاً بالقناعة والبعد عن الجشع والطمع وأكل أموال الناس بالباطل ؛ لأن ذلك يعد كبيرة من الكبائر التي يخلد صاحبها في النار كما ينص عليه مذهبهم ، كما اشتهروا أيضاً بالكرم الشديد هم وسائر البربر .

وقد لفتت هذه الأخلاق الحميدة أنظار الوثنيين من السودان والبربر إلى هؤلاء التجار فتأثروا بهم وبعقائدهم ، ودخلوا في الإسلام طواعية واختياراً قبل ظهور دولة المرابطين التي يعزى إليها البعض فضل إدخال هؤلاء البربر والسودان في الإسلام ، وعلى ذلك فقد كان نشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين كثير من الوثنيين من بربر الصحراء وبين كثير من أهالي بلاد السودان الغربي والأوسط هو في الحقيقة من عمل التجار والعلماء والدعاة الإباضية ، سواء

<sup>١</sup> الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

كان ذلك العمل في عهد الدولة الرستمية ( ١٦٠ - ٢٩٦هـ / ٧٧٦ — ٩٠٨م ) أم بعد سقوط هذه الدولة <sup>(١)</sup> .

٤- وتكلمت **الدكتورة سيدة كاشف** في بحث لها عن " إباضية عمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب " :

أ- فتكلمت عن عمان الموطن الأصلي للمذهب الإباضي وعن معنى الإباضية فقالت : " والحق أن عمان هي الموطن الأم للإباضية في العالم الإسلامي ، والإباضية بمعناها الواسع في عمان تعني الإسلام المستمد من أصوله وهي : القرآن ثم الحديث والسنة الشريفة ثم الإجماع ، أي أن المذهب الإباضي في عمان أقدم من اسمه ، أما اسم أباضية فنسبة إلى عبدالله بن أباض الذي عاصر معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية وعبد الملك بن مروان المؤسس الثاني للدولة الأموية " <sup>(٢)</sup> .

ب- وقالت عن موقف الإباضية من اسم " الخوارج " : " لكن الإباضية المعاصرين يتبرؤون من اسم " خوارج " بعد أن أسيء فهم المذهب الإباضي ، وبعد أن جمع جل المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد فضلاً عن سائر الكتاب القدماء والحديثين بين الإباضية وبين الغلاة والمتطرفين والخارجين على الإسلام إما بواسطة الدعايات المسمومة للأمويين والعباسيين والفاطميين الذين حاولوا القضاء على الإباضية وعلى الدول الإباضية المستقلة ، وإما عن جهل أو تعصب أو عن رغبة في تدمير كيان المسلمين وتحطيم قوة الإسلام .

بينما نرى الإباضية يتبرؤون من الغلاة والمتطرفين ، ويتبرؤون من الخوارج الأزارقة والصفورية والنجدية ، نرى مثلاً المؤرخ ابن خلدون يصف الصفورية بالاعتدال ويصف الإباضية بالغلو !!

ومن خلال دارستنا للمصادر الإسلامية عامة والمصادر العمانية خاصة ، اتضح لنا أن دعوى الإباضية في سبيل الإسلام ما هي في الحقيقة إلا ظهور أول الفرق الإسلامية التي تعتمد على القرآن الكريم وعلى السنة الشريفة وعلى الاجتهاد .

<sup>١</sup> الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

<sup>٢</sup> إباضية عمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب ، سيدة إسماعيل كاشف ، ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية ( ذو الحجة ١٤٠٠هـ - نوفمبر ١٩٨٠م ) ، مجلد ٣ ، ص ٢٥٦ .

فحين ظهرت الفتنة الأولى في الإسلام بعد السنين الست الأولى من خلافة عثمان بن عفان ، وحين قبل علي بن أبي طالب التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، اتسع خلاف المسلمين ، وبدأ المسلمون يتساءلون عن المسلم الحقيقي وعن الإيمان وعن جوهر العقيدة الإسلامية وعن مسؤولية الإنسان وعن العدل في الإسلام وعن الإمامة الإسلامية الصحيحة العادلة وعن إرادة الله.

ولم يكن اعتراض الإباضية على سياسة الخليفة عثمان بن عفان بعد السنين الست الأولى من خلافته ، ولا على الإمام علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم ؛ لأسباب سياسية أو لمنفعة مادية أو شخصية وإنما لأسباب تمت في رأيهم إلى العقيدة الإسلامية .

ولم تكن دعوة الإباضية دعوة في سبيل الحكم كالدعوة العلوية التي ظهرت منذ قيام الدولة الأموية ومن بعدها العباسية لإثبات أحقية البيت العلوي في الحكم ، ومثل الدعوة العباسية لإثبات أحقية بني العباس في الحكم دون بني أمية وبني علي ، وإنما عمل الإباضية في كل العهود على أن يكون دستور الدولة هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وأن يلتزم رئيس الدولة وعماله عدل الخلفاء الراشدين وتمسكهم بالدين في سياسة المسلمين " (١) .

ج - وقالت عن التحكيم : " وكان ممن أنكر التحكيم طائفتان : خاصة سارت على نهج عبدالله ابن وهب الراسبي ، ومنهم العلماء المتفقهون في الدين من الصحابة وكبار التابعين مثل الأحنف بن قيس ، وأبي بلال مرداس ، وعروة بن حدير ، وعدي بن حاتم الصحابي ، وهؤلاء هم الذين سموا فيما بعد " الإباضية " .

أما الطائفة الأخرى ممن أبوا التحكيم فقد كان أغلبها من العامة ، وقد وقع لهم رد فعل شديد بعد معركة النهروان وقضاء علي بن أبي طالب على من كانوا خاصته وأنصاره وعلى عبدالله بن وهب الراسبي في سنة ٣٨هـ ( ٦٥٨ م ) ، وهؤلاء العامة غلوا في حماسهم وتطرفهم ، وغلوا في دينهم مثل : الأزارقة وقائدهم نافع بن الأزرق ، والصفرية ورئيسهم عبدالله بن الصفار والنجدية ورئيسهم نجدة بن عامر .

<sup>١</sup> إباضية عمان ونشر الإسلام في بلاد الغرب ، مرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

وقد اختار الإباضية في عمان طوال تاريخهم طريق الاعتدال وابتعدوا عن التطرف وجعلوا هدفهم الرئيسي إقامة تعاليم الدين الحنيف ونشر الإسلام والدعوة له ، أي أنهم ربطوا بين الإيمان وبين العلم والعمل<sup>(١)</sup> .

د- وعن مقاييس تفضيل الرجال عند الإباضية قالت : " والإباضية يتقيدون بمقاييس الإسلام في تفضيل الرجال ، وبمعايير الدين في اختيار الرؤساء ، فهم لا يتعصبون للقبيلة ، ولا يؤثرون الرجل لماله أو لحسبه ونسبه ، فليس هناك تفاضل بين مسلم ومسلم إلا بالعمل الصالح والتقوى ، وقد قام الإسلام على أساس الحرية والإخاء والعدالة والمساواة والتسامح الديني ، وأثر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : " اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي " .

والإباضية يقولون أن الإمامة لا يراعى فيها العرق ، ولكن الكفاءة والتقوى والعلم ، ولم يكن أبو الشعثاء جابر بن زيد يعمل ضد الأمويين لحب الملك أو بدافع العصبية ، ولكن للرجوع إلى الإمامة التي تتقيد بالدين وإلى العدل بين المسلمين كما أمر الله تعالى ، وقد عرفنا أن نواة الإباضية تكونت من علماء الصحابة والتابعين ، ومن القراء الذين تمسكوا بالدين<sup>(٢)</sup> .

هـ - وأما عن دور الإباضية في نشر الإسلام وإقامة العدل فقد قالت : " أما الدعوة لنشر الإسلام وإقامة العدل فقد تمسك بها الإباضية منذ البداية ، وكانت من أهم تعاليمهم ، وأكد الإباضية في مختلف العصور والأزمنة واجبه في نشر الإسلام والدعوة إليه ... وقد اعتبر الإباضية الإيمان ونشر الإسلام والعدل والعمل والإمامة العادلة وعدم التطرف هدفهم الرئيسي من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه ، واعتبر الإباضية أن المسلمين بنيان واحد متراص لا انفصام فيه بين الشرق والغرب .

وهذه المسؤولية الكبرى التي حملها الإباضية بدأت ببداية إسلام العمانيين واستمرت في طريقها بعد الأحداث التي حدثت في أواخر خلافة عثمان بن عفان وبعد قبول علي بن أبي طالب التحكيم ، وصمد الإباضية أمام الأحداث رافعين لواء الإسلام القائم على القرآن الكريم وعلى الأحاديث النبوية وعلى السنة الشريفة ، وعلى الإجماع وعلى آثار أئمة الهدى<sup>(٣)</sup> .

<sup>١</sup> إباضية عمان ونشر الإسلام في بلاد الغرب ، مرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

<sup>٣</sup> إباضية عمان ونشر الإسلام في بلاد الغرب ، مرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

و- وعن التربية عند الإباضية قالت : " وروي أن " حملة العلم إلى المغرب " استشاروا أبا عبيدة قبل عودتهم إلى بلاد المغرب " إن أنسوا من أنفسهم قوة أيومرون عليهم واحدًا منهم ، قال : نعم ، وأشار إلى أبي الخطاب فإن أبي فاقتلوه " .

وهذا يدلنا على أن الإباضية اهتموا بتنقيف عقول تلاميذهم من المغرب والمشرق بالعلم الصحيح ، وتنقية نفوسهم بالتربية الدينية الرشيدة ، وبث الشجاعة فيهم ، والبعد عن الحسد والعصبية ، وإن إشارة أبي عبيدة إلى أبي الخطاب اليمني ليرأس دولة بربرية في المغرب وهو عربي قحطاني وليس مغربيًا أو عربيًا قرشيًا ثم استجابة المغاربة له ليدل دلالة واضحة على تمسك الإباضية بمبدأ المساواة الإسلامية ، وهذا أبلغ رد على ما ذكره توماس أرنولد في كتابه " نشر الدعوة إلى الإسلام " ومن أخذ عنه من المؤرخين الأجانب والعرب ، حين يقول : " إن الإسلام لم ترسخ قدمه بين البربر إلا بعد أن صار حركة قومية وأصبح مرتبطاً بتولي دول البربر الحكم ، تلك الدول التي دخل في عهدها كثير من البربر في دين الإسلام ، وكانوا من قبل يعدون قبول هذا الدين رمزاً على ضياع الاستقلال السياسي ... " .

وإن تاريخ بلاد المغرب يثبت أن الإباضية في المغرب هم من أرسخ الجذور للدين الإسلامي والعروبة ، كما يثبت اعتدادهم بالشخصية الإسلامية والعربية للمغرب<sup>(١)</sup> .

ز- وعن نشر الإسلام وازدهاره في بلاد المغرب فقالت : " يرجع الفضل الأول في دخول الإسلام في بلاد المغرب إلى العرب الفاتحين ، أما الفضل الأكبر في نشر الإسلام وازدهاره في بلاد المغرب في ثلاثة القرون الأولى للهجرة فيرجع إلى الإباضية العمانيين ، وقد اعتبر الإباضية بلاد المغرب أرض جهاد لنشر الإسلام ولقيام الإمامة الإسلامية العادلة ، وربطوا بينهم وبين بلاد المغرب - على بعد الشقة بين المشرق والمغرب - بواسطة الدعاة وحملة العلم والتجار .

وفي القرن الثاني والثالث الهجري ظهر أثر جهود الإباضية العمانيين فقامت الإمامة الإباضية وتمخض شرق المغرب الأدنى والمغرب الأوسط عن الدولة الكبرى الإباضية التي التزمت في سياستها بالدين ، وأحيت سيرة الخلفاء الراشدين ، والتي أنعشت المغرب الأدنى

<sup>١</sup> المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

والأوسط ، والتي مهدت للدولة الإدريسية العلوية في المغرب الأقصى ، والتي هيأت المغرب وأعدته لكل ما أنشأ من دول مستقلة راقية بعد ذلك .

وتقدمت بلاد المغرب بفضل الدولة الإباضية التي قامت فيه ، في كل نواحي الحضارة الإسلامية ، وصار المغرب الإسلامي العربي حصناً للدين ورمزاً للأخوة الإسلامية والعربية " (١) .

ح- وأنهت بحثها بهذه الكلمات المنصفة لأهل الفضل : " ولا بد للمؤرخ المنصف أن يبين فضل أصحاب الدعوة والعلم والتجار من الإباضية العمانيين الذين ركبوا كل صعب في سبيل نشر الإسلام والدعوة إليه كلما أمكنهم ذلك ، وقد كانوا رواداً في مناطق وآفاق كانت مجهولة لدى العالم الأوروبي الحديث ومن سبقهم من الشعوب المتحضرة كالإغريق والرومان ، والمعروف أن الأوروبيين لم يبدعوا الدراسات الإفريقية وكشف مجاهل إفريقية إلا في أعقاب عصر النهضة والاستكشافات البحرية في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر الميلادي ، واقتصرت كتاباتهم حينذاك على السواحل ومصبات الأنهار مدة قرن من الزمان على أقل تقدير ، وكان هدفهم الاتجار بالرقيق واستغلال خيرات البلاد فضلاً عن التبشير بالنصرانية بعدما أخفقت المعركة الصليبية في الشرق العربي " (٢) .

٥- وممن كتب عن الإباضية **عبد الحافظ عبد ربه** - من علماء الأزهر الشريف - جاء في كلامه عن الإباضية :

أ- قال عن مصادر المذهب الإباضي : " لَقَدْ اسْتَنْبَطُوا مَذْهَبَهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَاقْتَبَسُوهُ مِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَسَلَكُوا فِي مَسِيرَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ نَفْسَ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكَهَا الصَّحَابَةُ ، وَارْتَضَاهَا الْإِجْمَاعُ ، وَحَرَصُوا كُلَّ حَرَصٍ عَلَى أَنْ تَكُونَ خُطَوَاتِهِمْ عَلَى ذَاتِ الدَّرَجِ ، وَفِي نَفْسِ الطَّرِيقِ ، وَفَوْقَ " افریز " الشارع ، ومع السبيل التي قطعها الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - في مشواره الطويل وشوطه البعيد جيئةً وذهاباً ، على مدى مسيرته المباركة ، ورسالته الميمونة عبر الثلاثة والعشرين عاماً ، ومع تحريمهم الصدق ، وحتمية الحق ، ومجاهدة النفس ، وريادة المعاناة ، والرياضة والترويض

<sup>١</sup> إباضية عمان ونشر الإسلام في بلاد الغرب ، مرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

على المشقة والمقاساة حتى استبان لهم الأمر ، ووضح أمامهم الطريق ، وتبين للعالم أجمع -  
أو المخلصين المنصفين - أن هؤلاء هم " أهل الحق والاستقامة " أو هم في الواقع وعلى  
الحقيقة " الفرقة الناجية " التي أخبر عنها الصادق المعصوم ، والتي أمر الله رسوله أن يختارها  
وينتهجها سبيلاً يوصل إلى عبادته ومرضاته في قوله تعالى : **چ چ ی ی ت تڈ ڈ ژ ژ**  
**ک ک گ گ** (يوسف / ١٠٨) .

والمذهب الإباضي ليس عجباً في الدنيا ولا غريباً عن الحياة ، وإنما هو العملة  
الصحيحة التي يجب تداولها وتناولها ، والتعامل بها في شتى الأنحاء ، وفي جميع المناخات  
والأجواء ، وهي بعون الله عملة لا ينالها التزييف أو التلبيس ، ولا يطولها الوضع أو التدليس ،  
ولا يجوز في منطقتها العمل بين بين ، ولا التتكير في وجهين ، ولا المشي على الحبلين ،  
فالحق عندها واحد لا يتجزأ ، وكل لا يتوزع " (١) .

ب- وقال دور الإباضية في تعاطي الحياة : " وعموماً - وبعد استقصاء واستحصاء ودرس  
وبحث ، وتحليل وتعليل - تبين أن الإباضية هي الطريقة المثلى في الأداء الإسلامي ، وفي  
تعاطي الحياة ، وفي التعامل مع الناس ، وأئمتها ودعاتها هم الذين واجهوا مواكب النفاق ،  
وناهضوا أعاصير الشرك وعواصف الإلحاد ، واتحدوا - بكل صرامة وشدة وبأس - تلك  
الأفاعيل الهوجاء النكراء التي تتبدى في سلوك المبطلين أو المستهترين من الحكام والباطشين  
سواء على المستوى الديني أو التعامل الدنيوي بين أفراد وجماعات الأمم والشعوب تمشياً مع  
منطق الدين ، واستجابة لدعاءاته ، ونداءاته ، ومتطلباته .

وما أحوج الدنيا اليوم إلى هذا اللون المتميز في الفقه الإسلامي ، ما أحوج الدنيا إلى  
دعاة الإباضية وأئمتها الذين من مهمتهم - ومن أولى وظائفهم إصلاح المسار الديني ، ومؤاخذة  
التسيب والقبض بشدة على خناق الاستهتار والانحراف واللاأخلاقيات ، وإعادة الانضباط في  
شتى السلوكيات إلى هذه الحياة " (٢) .

ج - وقال أيضاً : " فالإباضية أصبحوا في الواقع - وفي نفس الأمر - وعلى الحقيقة هم اللغة  
الصحيحة - الفصيحة ، والصيغة المشرقة للوضاءة بين الله والناس ، والغدة النشطة السليمة  
التي تفرز للدنيا ماهيات الدين ، وتقدم على موائد الإنسانية ما لذ وطاب من طعوم الحق ،

<sup>١</sup> الإباضية مذهب وسلوك ، ص ٢٢ .  
<sup>٢</sup> الإباضية مذهب وسلوك ، مرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

وطيبات اليقين ، فهم الفرقة الناجية التي أخبر عنها النبي - ﷺ - في كل أحاديثه ومروياته ، وكان وجود هذا الصنف - أو النوع - من البشر ضرورة ملحة أو حتمية مقتضية استقطبت رحمة الله بعباده ، واستوجبت منهم مقابلة هذه الرحمة بألوان شتى من العبادات والقربات ، وأولها الشكر الخالص ، والعبودية الصافية ، والاحتفاء بنعم الله ، والاحتفاء بآلائه ، وترجمة ذلك كله إلى السلوك الذي يحبه الله ورسوله ، وكان من مظاهر رحمة الله الفيضة الحانية أنه لم يترك عباده هكذا - في هذه الدنيا - ضياعاً أوزاعاً أو هملاً أو كميات هابطة ساقطة تحت ركامات الشك ، وأنقاض الفتنة ، وخرائب التيه ، وأطلال الحيرة والقلق ، والتخبط والاضطراب .

ولما كان من حتمية الوجود الإنساني - لتأكد فاعليته وينمو وجوده وتستمر معه الحياة - أن يعبر الطريق ، ويجتاز الجسر من الحاضر إلى الماضي ، ويصاحب التأريخ ، ويرافقه في كل خطواته ، ومع أبرز العناصر التي أثرت فيه بالإيجاب والسلب ، والثبوت والنفي ، كان حتماً مقضياً أن يصطحب الإنسان مع التأريخ تلك الفئة الهادئة المهدية التي حملت أرواحها على راحتها ، وحياتها على أسلحتها ، وهبت وقت الفزع والروع مطالبة بإنسانية الإنسان ، وكيونته البشرية في نطاق ما شرع الله ، وفي الإطار الذي خطته يد القدرة ، وحبك نسيجه الشرع ، وتكفلت به عناية الإسلام ، وعمل على ترجمته وتطبيقه سلوك محمد - عليه الصلاة والسلام - وهل هناك من هو أنقى وأنقى ، وأبر وأوفى ، في تأدية هذا الدور العظيم ، وللقيام بهذه الرسالة الكبيرة الخطيرة غير الإباضيين ؟

وهل هناك مذهب يتلاحم في هذا الترقى الروحي أو يتلاءم مع ذلك السمو التشريعي الفقهي غير المذهب الإباضي ، و الإباضية عموماً ؟

وهل هناك فوق ظهر الأرض وفي جيوب وبين طيات وطبقات الحياة من يمكنه أن يستوعب هذه التعاليم الإلهية ، أو يستطيع أن يستقطب تلك المواجيد الكونية السماوية غير إنسان إباضي - صادق الإباضية - مصدره من الله ومورده إلى الله ، وحياته بين المصدر والمورد ، ودائماً مع الله ؟ <sup>(١)</sup> .

<sup>١</sup> الإباضية مذهب وسلوك ، مرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

٦- قال الدكتور **عبد الحميد درويش** في كتابه " الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية " عن الإباضية :

أ- عندما تحدث عن الإمامة ونشأة المذهب الإباضي قال : " الإباضية : أحد المذاهب الاعتقادية التي لعبت دورًا بارزًا في الحياة الفكرية والسياسية على الساحة العربية منذ القرن الثاني والثالث الهجري ، ويمتد تأثيرها ووجودها حتى الآن بسبب اعتدالها وجرأة مواقفها من الإمامة وحكم بني أمية وأصالة مذهبهم ، وتنسب الإباضية من الناحية الفقهية والمذهبية إلى الإمام جابر بن زيد العماني ( ٢٢ - ٩٦هـ ) .

ثم عرفت بعد ذلك واشتهرت نسبتها إلى الإمام عبدالله بن أباض التميمي الذي عرف بالعلم والقدرة على الجدل أيام الدولة الأموية وخلافة عبدالملك بن مروان ، والذي تتلمذ على يد إمام المذهب أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وينسبها رجال الفرق والطبقات خطأ إلى الخوارج لاتفاقهم معهم في بعض الآراء والأصول السياسية مثل الشورى والاختيار في الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والموقف من الإيمان والعمل ومرتكب الكبيرة ، ولقد رفض الإباضية في مختلف عصورهم نسبتهم إلى الخوارج على اعتبار أنهم يخالفونهم في كثير من المسائل والمواقف والتي دفعتهم إلى قتالهم فقد حارب الإباضية كل من الصفورية والأزارقة بسبب خروجهم وتطرف آرائهم وأعلنوا براءتهم منهم ومن صنيعهم " (١) .

ب- وتحدث عن مؤسس المذهب الإباضي الإمام جابر بن زيد - رحمه الله تعالى - وأحواله مع بني أمية وإلصاق تهمة الخوارج به وبأصحابه ، فقال : " وكان الإمام جابر بن زيد مؤسس المذهب الإباضي في مجالسه كزملائه الحسن البصري وغيره من كبار التابعين غير راضين عن سياسة الحكم الأموي فكانوا يتناولونه بالنقد في مجالسهم ، وكانت السلطات الأموية تراقبهم وتلازمهم وتضيّق عليهم الخناق وتحاول ألا تسمح لنقدهم أن يتسرب إلى العامة ، وقد احتاطت لذلك من بداية الأمر وحذرت من ظهور أفكار المذهب الإباضي ، فنسبتهم إلى التطرف واعتبرتهم ضمن الخوارج ، وهي تهمة تلصق بمن يراد التخلص منه ؛ ولذلك لم يسلم من هذه

<sup>١</sup> الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية ، د . عبدالحميد درويش ، عالم الكتب ، القاهرة - مصر ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، ص ٩ .

التهمة زعيم المذهب الإمام جابر ، كذلك باقي الأئمة مثل مالك بن أنس وأبو عبيدة وغيرهم " (١) .

ج - وعن العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب الإباضي في اليمن وحضرموت وعمان ثم بلاد الشمال الإفريقي قال : " وساعد على هذا الانتشار ثلاثة عوامل رئيسية في مقدمتها : اعتدال المبادئ ، والآراء الإباضية في الأصول والفروع ومعارضتها لآراء الخوارج ثم استعداد أهل عمان للدعوة الإباضية بسبب الرابطة القبلية مع أزد عمان " (٢) .

د- وفي إطار إقامة الإمامة عند الإباضية تحدث فيه عن رفض الإباضية لآراء الخوارج ، فقال : " وفي هذا الإطار كان موقف الإباضية الرفض للعديد من آراء الخوارج وخاصة النجدات الذين رأوا عدم إقامة الحدود وقالوا : إن الحدود لا تقام بالسلطة الحاكمة ولا بالإمامة وأن الناس إذا التزموا بمبادئ الشرع وأحكامه فلا داع ولا لزوم للإمامة أصلاً ؛ لأن الناس ليسوا في حاجة إلى إمام ، ورد الإباضية عليهم بالعديد من الأدلة في ثبوت الإمامة ووجوبها ولزومها عند إقامة الحدود وأن عدم وجود الإمامة يبعث على الفوضى وفقد النظام ، كما وقف الإباضية أيضاً في مواجهة العديد من فرق الخوارج كالشيبية التي جوزت إمامة المرأة ، عندما استخلف شبيب أمه غزالة ، فاعترض الإباضية وأدانوا هذا المسلك مرددين الحديث الشريف : " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " (٣) .

هـ - وتحدث عن موقف الإباضية من خلافة عثمان وعلي - رضي الله عنهما - قال : " انطلق موقف الإباضية من المبدأ العام أنه لا اعتبار في تولي الإمامة إلا للمؤهلات الشرعية ، وهي الإيمان والتقوى والكفاءة والعمل الصالح دون اعتبار لأي مقياس آخر من جنس أو قومية أو قبيلة ، وطبق الإباضية هذا المبدأ عند الاختيار بين عثمان وعلي - رضي الله عنهما - خاصة بعد أن انحصرت البيعة في عثمان وعلي بلا منافس لهما ، وحيث وليها عثمان ثم قتل ، فقد انحصرت الإمامة والبيعة لعلي بن أبي طالب وحده ؛ ولذلك تمت مبايعته بإجماع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار وبقية أهل الشورى مثل طلحة والزبير - رضي الله عنهما - " (٤) .

<sup>١</sup> الإمامة والتقوية عند مفكري الإباضية ، مرجع السابق ، ص ١٢ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق ، ص ١٣ .

<sup>٣</sup> المرجع السابق ، ص ٩٠ .

<sup>٤</sup> الإمامة والتقوية عند مفكري الإباضية ، مرجع السابق ، ص ٩٠ .

و- وذكر عن أصالة المذهب الإباضي وشهادة بعض العلماء بمتانة أصول المذهب الإباضي فقال : " وفي أصالة المذهب الإباضي وقيامه على إمامة العلم التي أرسى دعائمها الإمام جابر بن زيد قال الشيخ الفاضل ابن عاشور التونسي : كثير من المذاهب قد انقرض إلا المذهب الإباضي فقد استمد عوامل بقاءه وخلوده من متانة أصوله ومرونة فروعها " ، وفيه أيضاً قال الشيخ بلحاج في كتابه " وإن هذه أمتكم أمة واحدة على الحق والاستقامة " : " حقاً إن المذهب الإباضي يعتبر من الوجهة التاريخية وباعتبار إمامة الديني التابعي الكبير أبي الشعثاء جابر بن زيد المولود أواخر خلافة الخليفة الراشد الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، والذي ولد عام ١٩هـ ، ونظراً لهذا الاعتبار فإن المذهب الإباضي هو أول المذاهب الإسلامية ، وذلك لعلو سنده وقربه من منبع التشريع " القرآن " قبل أن يفترق في فهمه وتأويله ، فالإمام جابر كان قريباً من منابع الهدى ، فقد عاش فترة طويلة في الحجاز قبل أن يستقر به المقام في البصرة ، وحرص على أن يأخذ العلم من منابعه الصافية خاصة حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله - ﷺ - ، فالإمام جابر بن زيد هو الإمام الديني للمذهب الإباضي والذي يتشرف المذهب الإباضي بالانتساب إليه ، وبالتالي فهو أسبق من بقية المذاهب الفقهية بما في ذلك الإمام أبو حنيفة النعمان المولود ٨٠هـ ، والإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة المولود عام ٩٣هـ ، والإمام محمد بن إدريس الشافعي المولود ١٥٠هـ ، والإمام أحمد بن حنبل المولود ١٦٤هـ ، والإمام داود بن علي الأصبهاني المولود ٢٠١هـ ، وإمام الشيعة الزيدية الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي المولود ٧٩هـ وإمام الشيعة الإمامية " (١) .

٧- و الأستاذ **عبدالرزاق طوطاوي** ، وقد تحدث عن الإباضية في عدة نقاط :

أ- فبين الإباضية والمحكمة والخوارج قال : " بين الظاهر والباطن يكمن خيط الحقيقة .

أول بذور المذهب الإباضي هو أبو بلال مرداس بن أدية التميمي ، وهو أحد الذين نجوا من واقعة النهروان ، وعاد إلى البصرة في حال بائسة لما حصل من فتنة وقتل بين إخوان في العقيدة ، كانوا بالأمس يداً واحدة ، تحارب من أجل الشرعية ، ووصل إلى قناعة بأن الصراع

<sup>١</sup> المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

والقتال بين أبناء الأمة الواحدة لا يجوز ، بل يجب على المسلم أن يقوم بالدعوة السلمية وتربية النشء والتكوين العقائدي الصحيح .

وكان الإمام الكبير أبو الشعثاء جابر بن زيد من أصدقاء أبي بلال مرداس ، وكانت تربطهما علاقة متينة وودية ، وقد انضم الإمام الكبير إلى جماعة القعدة في وقت مبكر ، إلا أن الظروف العصيبة التي مر بها التنظيم جعلت زعامة جابر سرية ، وبخاصة بعدما أقدم ابن زياد على قتل أبي بلال مرداس وجماعة من أتباعه سنة ٦١ هـ .

وهذا هو الرابط بين المحكمة الأوائل والإباضية ، فالإباضية هم خلف المحكمة أهل النهروان ، أما الخوارج فقد جاؤوا مع نافع ابن الأزرق بداية سنة ٦٤ هـ للهجرة ، أي بعد موت أبي بلال مرداس بثلاثة أعوام ، حيث حدث انقسام نهائي بين المحكمة فاختار جماعة من الإباضية- الذين لم يكونوا معروفين بهذا الاسم في ذلك الوقت - اختاروا الاعتدال والدعوة السلمية والسير على نهج أبي بلال مرداس ، أما الأزارقة فقد سلكوا نهج التطرف وتكفير المخالفين لهم ، وعندما علم عبدالله بن إياض بمواقف ابن الأزرق وجماعته تبرأ منهم ، وطرده الإباضية من مجالسهم .

من خلال ما سبق نصل إلى أن المحكمة الأوائل أهل النهروان لا علاقة لهم بالخوارج الأزارقة بتاتاً ، وهناك فاصل زمني كبير بينهما ، كما أن الإباضية والخوارج فرقتان تفرعتا عن المحكمة ، إلا أنه لا يربط بينهما أي رابط ، فالإباضية فضلوا الدعوة السلمية ، كما قلنا وسموا بالقعدة وأهل الدعوة ، ولم يكفروا أحداً من أهل القبلة ، واهتموا بنشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما الخوارج الأزارقة فقد تطرفوا وحكموا على جميع مخالفهم بالشرك<sup>(١)</sup> .

ب- وقال أيضاً تحت عنوان " بيت القصيد " : " يعتقد أغلب العامة بأن المحكمة خوارج ، وهذا بسبب كتاب المقالات والفقهاء المتعصبين ، وأن الإباضية فرقة من فرق الخوارج كذلك ، وعندما يقرأ أحد المتعصبين ما كتبه ابن تيمية بأن النبي وأئمة الدين أمروا بقتل المحكمة الذي ينبرههم الشيخ بالخوارج ، فإنه في أضعف الحالات سينفر من الإباضية ويرميهم بالضلال أو البدعة ، وهذه مقدمات لأمر أخرى ، وقد اشتكى لي بعض الشباب الإباضية بأن بعض العوام

<sup>١</sup> حوار بين السنة والإباضية والشيعة ، عبد الرزاق طوطاوي ، مكتبة مسقط ، مسقط - سلطنة عمان ، ط٢ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ٦٤ .

يستفزونهم ، ويقولون لهم : أنتم خوارج ، وهذه سابقة خطيرة ، ومع أن ابن تيمية ينفي عنهم ذلك ؛ لأن الإمام علي - عليه السلام - وسعد وغيرهما من الصحابة لم يكفروهم ، فيقول ولم يقاتلهم علي - عليه السلام - حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين ، وكيف فات الشيخ أن آخرين قاتلهم الإمام علي - عليه السلام - لنفس السبب ، بل فعلوا قبل أكثر ، كأصحاب الجمل وصفين كما ذكرنا من قبل ، وكيف جاز لشيخ الإسلام ابن تيمية أن يعطي صفة " المسلمون المؤمنون " لأصحاب الجمل وصفين حيث يقول ، فهكذا السلف ، قاتل بعضهم بعضاً من أهل الجمل وصفين ونحوهم ، وكلهم مسلمون ومؤمنون ويستدل بالآية ٨ - ٩ من سورة الحجرات ، بينما يحرض عن وعي أو عن غير وعي على قتال أناس لم يفعلوا عشر ما فعله أصحاب الجمل وصفين ، ما لكم كيف تحكمون ؟!

ج- وقال عن تبرؤ الإباضية من الخوارج قديماً وحديثاً : " مختصر رسالة عبدالله بن إياض إلى عبدالملك بن مروان : إنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس ، لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظهر ، ولكنهم ارتدوا عنه ، وكفروا بعد إيمانهم ، فنبرأ إلى الله منهم ، أما بعد فإنك كتبت إليّ أن أكتب جواب كتابك ، وأجتهد لك في النصيحة وإنّي أبين لك ، فإنّي قد بيّنت لك بجهد وأخبرتكَ خبر الأمة ، وكان حقّاً عليّ أن أنصح لك ، وأبين لك ما قد علمت أن الله يقول : ﴿ طُوبَىٰ لِلَّذِينَ اسْتَفْسَدُوا دِينَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرُهُمْ فِي يَوْمِ ذُرِّيَّتِهِمْ لَسَاءَ أَمَا لَهُمْ حِسَابٌ ﴾ .

<sup>١</sup> حوار بين السنة والإباضية والشيعية ، مصدر سابق ، ص ٦٩ .

هذا جزء يسير من رسالة عبدالله بن إباض إلى عبدالملك بن مروان ، وقد اخترت الجزء ما قبل الأخير الذي يعلن فيه عبدالله بن إباض في صراحة براءته من الخوارج بقيادة نافع بن الأزرق ، وهذا الذي يهمننا ، لكي لا يبقى أي التباس للذين تراودهم الشكوك في إخوانهم الإباضية ، أما الإباضية اليوم فإنهم يعلنون براءتهم بكل وضوح من الخوارج فهل بعد الحق إلا الضلال " (١) .

د- وأما عن الإباضية في نظره فقال : " تعرضت الجزائر منذ استقلالها إلى هزات خطيرة وزلازل سياسية وفتن مسلحة من داخل السلطة وخارجها ، شارك فيها القاصي والداني ، لكن لم تجد في أي هذه الفتن إباضياً واحداً ؛ لأن الإباضي لا يؤمن بالعنف في التغيير ، وهو يهرب من الفتن كما يهرب من الكفر ، وأغلب شباب الإباضية ملتزمون خلقاً ودينياً ، ولا يستطيع أن ينكر هذا إلا جاحد ، كما أن للإباضية مرجعية فكرية ودينية فلا يستطيع أحد أن يقول برأيه في أي مسألة ، فهم ملتزمون بالشورى ، ومن يخرج عن القاعدة يتبرؤون منه ويصبح منبوذاً ، إنهم أهل طهارة ونقاء ، لا تجدهم في أوكار البغي والفساد ، ولا يردون بالاستفزاز بمثله فإذا استفزهم أحد يردون بابتسامة أو يصمتون ، كما أن الإباضي يكون إما في طلب العلم أو رزق شريف ، فأين ما يصفهم به المرجفون ؟ ولقد منينا بقوم لا يتدبرون فإن الله وإنا إليه راجعون " (٢) .

#### ٨- الكاتب العالم التونسي **عبدالعزیز المجدوب** جاء في كلامه عن الإباضية :

أ- فقال في أبرز ما يتصف به الإباضية : " وأبرز ما يتصف به الإباضية تمسكهم الشديد بالدين ، بأداء فروضه وتجنب نواهيه - إلى حد الغلو - وبغضهم المفرط لأصحاب الظلم والفساد ، وبفضل هاتين الصفتين استطاعوا أن يحققوا لأنفسهم عزاً دينياً ، ومجداً سياسياً ، خلد ذكرهما في التاريخ " (٣) .

ب- وقال أيضاً : " حافظوا على صفاء الرسالة المحمدية في أصول مذهبهم ، ولم ينحرفوا عن النهج القويم الذي كان عليه رسول الله - ﷺ - وصحابته البررة في سلوكهم وأمر

<sup>١</sup> حوار بين السنة والإباضية والشيعة مصدر سابق ، ص ٧٠ .

<sup>٢</sup> المصدر سابق ، ص ٧٤ .

<sup>٣</sup> الصراع الذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية ، عبدالعزيز المجدوب ، ص ١٠٤ .

معاشهم ، ولا اقتترف ولاتهم إثمًا ، ولا مارسوا في قيادتهم ظلمًا ، ولا أي لون من ألوان العسف التي لم يبرأ منها إلا القليل من الولاة سواهم .

بل إن الظلم في حقهم كان مستحيلًا ، لا لكونهم معصومين ، بل لأن رجل الدين عندهم ورجل السياسة واحد ، والقائم بأمر الناس فيهم هو الإمام نفسه ، وتلك هي قاعدة الإسلام في الحكم التي سار عليها الخلفاء الراشدون ، وعليها حافظوا ودونها نافحوا ، فمن الطبيعي أن ينتشر مذهب هذا شأنه ، وأن يقبل على اتباعه الناس ببلاد المغرب ليجدوا في أكنافه الأمن والكرامة ، وهم من سئموا حياة الاضطراب والظلم على أيدي الكثير من عمال بني أمية وبني العباس<sup>(١)</sup> .

ج - ثم قال : " ولعل أول داعية إباضي قدم هذه البلاد هو سلمة بن سعد الذي عرف كيف ينتقل بالبلاد وأي الشعاب يسلك حتى يأمن ظلم الظالمين ، ويضمن لعمله التوفيق ولرسالته الانتشار ، فاختر الطرق الجبلية البعيدة عن الصحراء القاحلة وأهوالها ، وعن المناطق الساحلية الخاضعة لسلطة الولاة ، وبجبال " نفوسة " و " دمر " ، و " نفزاوة " وما والاها من المرتفعات والجبال ، وكلها مناطق أهلة بالسكان كثيرة العمران ، أمكن له أن يستقر ، ويقوم في صفوف البربر بالدعوة ، موضحًا للأذهان الصورة الصحيحة للإسلام في الاعتقاد والعبادة والمعاملة ، وهي غير الصورة التي شاهدها الناس في الحاكمين وأتباعهم في ذلك الوقت فالتف من حوله الناس مستجيبين لدعوته ، وراح يتنقل من مكان إلى آخر ، وما ارتحل من موضع إلا خلف فيه أتباعًا تكاثروا مع مرور الأيام والأعوام حتى صار لهم شأن ، وأضحوا يمثلون قوةً يقرأ لها ألف حساب .

ومن أفريقية انطلق شابان إباضيَّان - بعد أن تلقيا المبادئ الأولى للدين والمذهب على يد سلمة بن سعد - انطلقا إلى العراق ضمن بعثة تضم عددًا من الإباضيين سواهما ، فقضيا سنين في طلب العلم على يد إمام المذهب في ذلك الوقت أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، فالطالب الأول من القيروان وهو عبد الرحمن بن رستم ، أما الثاني فهو أبو داود من الجنوب ، ولما أتمَّ الطالب واكمل عندهما العلم ، واطمأن لنباهتهما إمامهما أوصاهما خيرًا ثم سرحهما عائدين إلى موطنهما ، فكان لأبي داود شأن في عالم الإصلاح ، إذ تفرغ للجهد الديني والعلمي ، فأنشأ

<sup>١</sup> المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

بجهة " نفزاوة " وسواها من جهة الجنوب جيلاً إسلامياً فاضلاً في خلقه ودينه ، كان البذرة الصالحة لما تبعته من أجيال تمسكت بالسنة والفضيلة ، وقاومت البدع والرديلة " (١) .

د- وعندما تكلم عن مقاومة الإباضية بقيادة إمامهم أبي الخطاب المعافري لظلم قبيلة ورفجومة الصفرية التي كانت متمكنة في القيروان ، وانتزاعهم مدينة القيروان منها قال : " هذا أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وجه إليه عبد الرحمن بن رستم من صور له بشاعة ما يجري بالقيروان فهب لأداء الواجب الذي يفرضه عليه التعاطف الأخوي ، ويحتمه مبدأ من أهم المبادئ لمذهبه ، ألا وهو مقاومة أولي الأمر بالسيف واستباحة دمائهم إذا تعدوا حدود الله ، ومالوا في أحكامهم إلى الهوى ، وقدم أبو الخطاب في جيش عظيم تطوع لإقامة العدل ومحقق الفساد والظلم الذي اقترفه عاصم الورفجومي وأتباعه ، فكان له النصر .

ثم بعد أن أمن الناس حافظاً أرزاقهم وأعراضهم ، ولى على القيروان عبدالرحمن بن رستم ورجع إلى طرابلس ، ودامت ولاية ابن رستم سنتين اثنتين ذاق المسلمون فيهما بالقيروان وبإفريقية كلها طعم الأمن ، وعرفوا معنى العدل ، وأدركوا لأول مرة تقريباً طعم العيش الكريم في ظل الحكم الإسلامي النظيف " (٢) .

هـ - وتحدث عن دور الإباضية عموماً في بلاد المغرب فقال : " والواقع أن الإباضية قد تمكنت من فرض وجودها التاريخي فحققت عزاً دينياً ذا بالٍ بقيت آثاره إلى اليوم في أتباعه الذين يعيشون بيننا ، التزموا خدمة الدين ومقاومة البدع والرديلة ، حازمين في أمرهم بالمعروف ونهيبهم عن المنكر ، كما حققت مجداً سياسياً كان له شأن في تاريخ الإسلام بالمغرب العربي " (٣) .

٩- وتحدث الشيخ الأزهري **عبد اللطيف محمد نصار** في لقاء مفتوح له في مجلة الغدير عن الإباضية بين الفرق الإسلامية :

أ- فتحدث عن مبادئ المذهب والمنهج العلمي للوصول إلى حقيقة المذهب الإباضي فقال : " ... الذي يعتز به المذهب الإباضي في كتبه قديماً وحديثاً هو سماحته مع مذاهب أهل السنة والاستدلال بما يقول علماء أهل السنة قديماً وحديثاً ، على ما يقول به هو .. لذلك يجب على

<sup>١</sup> الصراع الذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزييرية ، مرجع السابق ، ص ١٠٥ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

<sup>٣</sup> الصراع الذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزييرية ، مرجع السابق ، ص ١١٠ .

الباحث عن الحقيقة والحكم على المذهب الإباضي دراسة علمية ، ملتزماً بالموضوعية ، والبعد عن التحيز الشخصي والمذهبي ، وملتزماً بالأسلوب العلمي الذي لا يستند على تقليد أو سلطة قديمة أو حديثة ، عليه أن يدرس العلم للعلم بعيداً عن الحكم الذاتي ؛ لأن الحكم الذاتي يختلف من شخص إلى شخص ، ومن مكان إلى مكان ، ومن زمان إلى زمان .. يجب أن لا نحكم على المذهب الإباضي معتمدين على العادات والتقاليد والخبرة الشخصية وأقوال السابقين وتفسيراتهم كوسيلة من وسائل الوصول إلى الحقيقة بدون تمحيص ، وذلك لأن الإنسان قد يتجاهل بعض الأدلة والقرائن التي لا تتفق مع رأيه ، وقد يبني عقيدته على أدلة وقرائن غير كافية في الحكم على الآخرين ، فيقع في الأخطاء التي تملئها عليه الميول الشخصية أو الاتجاهات الذاتية ، فيستخلص نتائج أو ملاحظات غير سليمة نتيجة لتحيزه وميله الشخصي " (١) .

ب - وتحدث عن أصول المذهب الإباضي فقال : " أنني أعتقد أن الإباضية لم يكن لهم مذهباً ، ولم يكن لهم هدفاً لتكوين حزب أو إنشاء مذهب ، وذلك لأن مذهبهم هو الإسلام كله القائم على كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وعلى الأحاديث النبوية الصحيحة " (٢) .

١٠ - العلامة الجليل **عز الدين التنوخي** - عضو المجلس العلمي بدمشق سابقاً - : " كلُّ مَنْ يَتَّهِمُ الإباضيةَ بِالزَّيْغِ وَالضَّلَالِ فَهُوَ مِمَّنْ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً ، وَمَنْ الظَّالِمِينَ الْجُهَّالِ " (٣) .

سلطنة عمان

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

معهد العلوم الشرعية

<sup>١</sup> الغدير ( مجلة شهرية ) الأعداد ٥٣ - ٥٧ ، السنة الخامسة ، محرم ١٤٠٣ هـ - نوفمبر ١٩٨٢ م ، <sup>٢</sup> المرجع السابق .  
<sup>١</sup> مقدمة خلاصة الوسائل في ترتيب المسائل ، ص ح .

# مواقف منصفة لأهل الحق والاستقامة

" كلمات صريحة عبر بها كتّابها عن ثنائهم الصادق للمذهب الإباضي "

## ( الحلقة الثانية )

إعداد

الطالب / يحيى بن أحمد بن علي بن عرابة

السنة الثالثة / أصول الدين

العام الجامعي : ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

١١- وقال الأستاذ **علي أكبر ضيائي** في معجمه - بعد أن تحدّث عن نشأة الإباضية وأصولهم ومبادئهم - رأيه في كتب المقالات والملل والنحل التي قدحت في الإباضية ، فقال : " كتب المقالات والملل والنحل تتحدث عن الفرق الإسلامية المختلفة ، وتعرض للحديث عن الديانات الأخرى غير الإسلامية ويجب أن نستخدم هذه المؤلفات بحذر شديد ؛ لأن أصحابها تنقصهم الموضوعية ، ويعوزهم الحياد عندما يتكلمون عن فرق مخالفة لمعتقداتهم ، ولا تزودنا هذه الكتب بمعلومات قيّمة عن تاريخ الإباضية وعقائدها .

وإذا قارن الباحث بين ما ورد من معلومات في هذه الكتب ، وبين ما ورد في المصادر الإباضية سواء كانت تاريخية أم كتب فقه وعقائد يلاحظ أنَّ هؤلاء المؤلفين قد نسبوا إلى الإباضية آراء ومعتقدات غريبة لا يقر بها أتباع هذه الفرقة ، كما أنهم تكلموا عن فرق إباضية لا نجد لها ذكراً على الإطلاق في المصادر الإباضية على اختلافها وتنوعها ، وما أشاروا إليه من آراء منسوبة لهذه الفرقة لا يعتبر ذا أهمية خاصة إذا تذكرنا أنَّ هذه المعلومات مشوهة ومتحيزة وتفتقر إلى الدقة والمعرفة العميقة .

ويمكن القول : إن هذه الكتب قد أصابت الإباضية بكثير من الأذى والتشنيع قد لا يكون مقصوداً في بعض الأحيان ، ولكنه موجود ، وقد أدت هذه الكتابات إلى ازدياد الفجوة بين الإباضية وأتباع المذاهب الإسلامية الأخرى ، ولا يصح الاعتماد عليها لتكوين فكرة صحيحة عن تاريخ الإباضية وعن فهم آرائها ومبادئها " (١) .

١٢- وقد أوضح الدكتور **عوض خليفات** في نفيه صفة الخوارج ما يلي (٢) :

١- " أن الإباضيين ليسوا خوارج كما تزعم بعض كتب المقالات والملل والنحل ، وكما يدعي بعض الكتّاب المحدثين الذين قلدوا هذه المؤلفات دون تدقيق وتمحيص ، والواقع أن الإباضية لا يجمعهم بالخوارج سوى إنكار التحكيم .

٢- أن الإباضية حرّموا قتل الموحدين واستحلال دمائهم ، وحرّموا استعراض الناس وامتحانهم كما فعل متطرفو الخوارج مثل الأزارقة والنجدية .

٣- أن الإباضيين ينظرون إلى الدين نظرة واحدة متكاملة لا فصل فيها بين المظاهر الروحية والمادية ولا طغيان لإحدهما على الأخرى ، وتبعاً لذلك فقد أنكروا التصوف ورفضوه .

٤- إن المدقق في المصادر الفقهية الإباضية يجد أن أصحاب المذهب الإباضي من أكثر المسلمين إتباعاً للسنة الشريفة والاعتدال بها ، أما ما تلصقه بهم بعض المصادر من تهمة فإنما هو ناتج عن أحد أمرين : الجهل أو التعصب .

٥- أنهم وحدهم الذين طبقوا مبدأ الشورى في الحكم بعد الخليفين أبي بكر وعمر " .

<sup>١</sup> معجم مصادر الإباضية ، علي أكبر ضيائي ، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع ، طهران - إيران ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ م ، ص ٦٠ .  
<sup>٢</sup> الأصول التاريخية للفرقة الإباضية عوض محمد خليفات ، وارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان ، سلسلة تراثنا ، العدد ( ٢٧ ) ، ط ٢ ، ( د . ت ) ، ص ٥٣ - ٥٤ .

١٣- ويقول الدكتور **فاروق عمر** عن الإباضية في عدة مواضع تحدث عنها :

أ- يقول لمن أراد أن يكتب عن الإباضية أن يعود إلى كتب الفقه والشعر والآداب وإلى ما كتبه الإباضية أنفسهم أما الكتب العامة فلا وجود لمادة خبرية هامة فيها : " ولكي نكتب عن الإباضية يجب العودة إلى كتب الفقه الإسلامية ، وكتب الشعر والآداب ، وأما الكتب العامة مثل : الطبري وابن الأثير والمسعودي فلا وجود لمادة خبرية هامة فيها ؛ لذلك ينبغي العودة إلى نوع آخر من المصادر وهي : كتب التاريخ الحولي المحلي ، كتب التاريخ الإباضي الذي كتبه الإباضية أنفسهم "(١) .

ب- ويقول عن الحركة الإباضية : " إن الحركة الإباضية مثلت منعطفًا نوعيًا بارزًا في تاريخ الحركة الخارجية لثلاثة أمور جوهرية هي :

أولاً : الاعتدال الذي ميّز موقف الإباضية عن غيرها من الفرق الأخرى ، والواقعية التي أبعدتها عن المثالية والحماس الديني .

ثانيًا : مثلت الإباضية تحولاً واضحاً في ثورات الخوارج من حركات هوجاء غير مخطط لها إلى دعوة سرية منظمة مخطط لها ، تتميز بتنظيماتها الدقيقة التي تشبه تنظيمات الأحزاب السرية المعاصرة ، وبذلك تكون إمكانات نجاحها أكثر بكثير من إمكانات نجاح الفرق الأخرى ، وهذا ما أثبتته الوقائع التاريخية .

ثالثاً : إنها حركة حاولت التغيير والتبديل نحو الأفضل ، وعارضت النظام القائم ضمن مفاهيم ومبادئ وأهداف داخل إطار الإسلام ، وقيم العروبة ، وهي بذلك تختلف عن العديد من حركات المعارضة الأخرى التي تبرعت بالإسلام ، وأضفت عقائد بعيدة عنه وعن الإرث العربي المعروف "(٢) .

ج - وعن سر نجاح الإباضية واستمرارها إلى أكثر من اثني عشر قرناً من الزمان قال : " وهنا لابد من القول بأن المذهب الإباضي أظهر مرونة واعتدالاً ، ونظرة توفيقية بحيث يتلاءم

<sup>١</sup> مجلة البيان ، فاروق عمر ، جامعة قسنطينة ، ١٩٩٤م ، ص ٥٠ .

<sup>٢</sup> التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، فاروق عمر ، دار اقرأ ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٥م ، ص ٤٠ .

مع الظروف السياسية والاجتماعية في عمان ، وفي ذلك يكمن سر نجاح الإباضية واستمرارها لأكثر من اثني عشر قرناً من الزمان <sup>(١)</sup> .

١٤- وتحدث عنهم **مصطفى الشكعة** - وإن كان هو الآخر قد حشرهم مع الخوارج ونسب إليهم أشياء لا تمت لهم بشيء من الصلات - واصفاً إياهم بالاعتدال وأنه لا يختلفون مع أهل السنة في كثير .

أ- فتحدث عن الإباضية بأنهم أصحاب أمجاد في الماضي والحاضر فقال : " وإذا كان الإباضيون أصحاب أمجاد في الماضي فما زالوا كذلك في عصرنا الحاضر ، فهم الذين يخوضون الحرب الباسلة في عمان ضد الإنجليز ، لا يكل لهم عزم ولا يفت في عضدهم إرهاب <sup>(٢)</sup> .

ب- وتحدث عن عقيدتهم وخدمتهم في تدوين السنة النبوية فقال : " وعقيدة الإباضية تتفق مع أهل السنة في الكثير وتختلف في القليل ، فهم يعترفون بالقرآن والحديث كمصدر للعلوم الدينية ؛ ولكنهم يقولون " بالرأي " بدلاً من الإجماع والقياس ، وهم أول من دوّن الحديث ، وأول من قام بذلك جابر بن زيد المتوفى سنة ٩٣هـ ، جمع الحديث في كتاب أسماه " ديوان جابر " ولكن هذا الديوان مفقود بكل أسف ، ثم رسم على منواله الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش حوالي منتصف القرن الثاني ، وكتابه معروف باسم " مسند الربيع بن حبيب " وهو مطبوع ومتداول <sup>(٣)</sup> .

ج- وعند مقارنته بين الإباضية مع أهل السنة قال : " والفرقة الباقية الوحيدة من الخوارج الذين مر ذكرهم هي فرقة الإباضية ، وهم ينكرون تسميتهم بالخوارج كل الإنكار ، وقد رأينا أنها لا تختلف مع أهل السنة في كثير ، ومن الممكن جداً تقارب وجهات النظر ، وأن يلتقي المذهبان على صعيد العبادة والعقيدة وتصبح كلمة الخوارج كلمة تاريخية ، بل هي كذلك ؛ لأن أكثر الخوارج - بل كل الخوارج - قد أصبحوا تاريخاً نقصه وسيرة نرونها <sup>(٤)</sup> .

<sup>١</sup> المصدر سابق ، ص ٦٤ .

<sup>٢</sup> إسلام بلا مذاهب ، مصطفى الشكعة ، ( د . ر ) ، ط ٧ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ١٣٥ .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

<sup>٤</sup> لإسلام بلا مذاهب ، مصدر سابق ، ص ١٣٦ .

د - وقال عن اعتدالهم في الفكر : " الإباضية فرقة معتدلة في فكرها الديني " (١) .

هـ- ويقول في وصف الإمام عبدالله بن إياض : " وأما عبدالله بن إياض فكان زعيماً سياسياً من زعماء المحكمة ؛ ولكنه تميز بالاعتدال في فكره مع الشجاعة والبسالة والجرأة في وجه السلطان مع صواب الفكرة وعمق المقالة " (٢) ، ثم قال : " وما دمنا بسبيل الحديث عن عبدالله بن إياض فإنه ينبغي الإشادة بفضائله وشجاعته وفصاحته وغيرته على المقدسات الإسلامية ، ذلك أنه ما إن علم بما فعله جيش يزيد بن معاوية بمدينة الرسول من نهب وتخريب ، ثم اتجاه ذلك الجيش العربي إلى مكة المكرمة ليصنع بها ما قد صنعه بالمدينة ، حتى سارع عبدالله على رأس جيشه واتجه إلى مكة واتخذ العدة للدفاع عنها هو وجيش عبدالله بن الزبير ، لكن الله سبحانه كان قد بدد شمل جيش يزيد ، ولقي قائده حتفه بين المدينة ومكة " (٣) .

و- وفي نهاية مقاله عن الإباضية قال : " ومهما كان الأمر فقد كان فيهم - أي الإباضية - عزة ومنعة ، ولعل خير وصف لهم هو ما قاله أبو حمزة الخارجي في أصحابه : " شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، وأطلاح سهر ، فنظر الله إليهم في جوف الليل محنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فوقت ، والرماح قد أشرعت ، والسيوف قد انتضيت ، ورعدت الكتية بصواعق الموت وبرقت ، فاستخفوا بوعيد الكتية بوعيد الله ، ومضى الشباب منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت إليه سباع الأرض ، وانحطت إليه طير السماء ، فكم من عين في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها ، طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله " (٤) .

<sup>١</sup> المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

<sup>٤</sup> إسلام بلا مذاهب ، مصدر سابق ، ص ١٤٩ .

١٥- وتحدث الدكتور **محمد رشيد العقيلي** في كتابه " الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول " عن الإباضية وعوامل انتشار الدعوتها ، ودلل على أن الإباضية ليس لها علاقات بفرق الخوارج :

أ- فذكر من عوامل انتشار الدعوة الإباضية في عمان اعتدال المبادئ فقال : " هناك عدة عوامل تقف وراء سرعة انتشار الدعوة الإباضية في عمان منها : اعتدال مبادئ الدعوة نفسها ، ورفضها آراء الخوارج والأزارقة والنجدات والصفورية ، مما جعل الدعوة مقبولة ومستساغة لدى الوسط الإسلامي في عمان " (١) .

ب- ودلل على أن الإباضية ليس لها علاقة بالخوارج تحت عنصر " حملة خازم بن خزيمة على عمان " بعد قيام إمامة الإمام الجلندي بن مسعود فقال : " سارعت الدولة العباسية إلى إرسال حملة عسكرية بحرية عام ١٣٤هـ بقيادة خازم بن خزيمة التميمي لضرب الخوارج الصفورية الذين تجمعوا في جزيرة " ابن كاوان " بقيادة شيبان بن عبدالعزيز اليشكري ، ثم بعدها لتواصل الحملة سيرها لضرب الحركة الإباضية في عمان ، وقد تمكن خازم من تفريق صفوف الصفورية بعد معارك ضارية ، فاضطروا أن يهربوا على ظهر سفنهم إلى منطقة جلفار الواقعة شمال شرق عمان ، غير أن الجلندي رفض أن يدخلوا بلاده ما لم يعتنقوا المذهب الإباضي ، فرفضوا ذلك ، فاضطر الإباضيون لمقاتلتهم ، بقيادة يحيى بن نجيح في معركة جلفار عام ١٣٤هـ ، وكان وضعهم في غاية الخطورة نظراً ؛ لأنهم أصبحوا بين خصمين الإباضية في عمان ، وخازم بن خزيمة في جزيرة " بن كاوان " في البحرين ، وقد أسفرت المعركة عن قتل قائد الخوارج الصفورية وإسداد الستار على حركتهم ، غير أن القائد الإباضي قتل هو الآخر في هذه المعركة ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن حركة الإباضية ليس لها علاقات بفرق الخوارج ، وأنها اختطت لنفسها خطأً مستقلاً بعيداً عن الخوارج في أعقاب النهروان ، وقيام الدولة الأموية " (٢) .

١٦- الشيخ **محمد شحاته أبو الحسن** يقول : " أنا لا أحابي أحداً في موقفي هذا ، ولكني أقول إن أصحاب هذا المذهب الذي تجنّى عليه البعض ، أكثر مناً تسامحاً واستجابة لأمر الله

<sup>١</sup> الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول ، محمد رشيد العقيلي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط - سلطنة عمان ، سلسلة تراثنا ، العدد (٦٠) ، ص ١٢ .

<sup>٢</sup> الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٠ - ٢١ .

سبحانه بالتآلف ، فقد عشت بين أظهرهم ، أقوم بتدريس مادة التفسير في معهد القضاء الشرعي<sup>(١)</sup> ما يزيد على اثني عشر عاماً لم أجد ما يكدرّ الصفو ، ولا ما يحملني على قول بعينه دون دليل ، رغم الاختلاف في بعض المسائل ، وكناً أنا وطلابي والعلماء الأجلاء في المذهب نتبع الدليل الأقوى " (٢) .

١٧- الداعية المفكر الإسلامي الكبير **محمد الغزالي** يقول : " ... هناك مذاهب فقهية إسلامية حوت من الآراء التشريعية الخالدة العميقة ما يعد مفخرة من مفاخر الإسلام مثل : المذهب الظاهري المنسوب إلى " داود الظاهري " ثم ابن حزم ، ومثل مذهب الأوزاعي و " الليث ابن سعد " ومثل المذهب الإباضي الذي لا يزال منتشرًا في عمان ، ومن الخير أن يعرف المسلمون نبذة عن هذه المذاهب الإسلامية العظيمة التي تمثل إنتاج العبقريات الإسلامية في ميدان التقنين والتشريع والاجتهاد ، ونحن نوصي بدراسة هذه المذاهب ورجالها دراسة علمية مجردة ، ونستكر الحملة التي يشنها المستمسكون بفقهاء السنة على تلك المذاهب وأئمتها " (٣) .

١٨- **محمد نعيم محمد هاني ساعي** أستاذ الفقه وأصوله في الجامعة الأمريكية المفتوحة

تحدث عن الإباضية وأصول الفكر الخارجي فقال : " لما استعرضنا مقالات الإباضية والمعاصرة خاصة لم نجد فيها ما يوافق أصول الفكر الخارجي ، اللهم في مقالة الخروج على الحكام الظالمين ، فإن مذهبهم هذا قد يتوهمه غير المطلع على كتبهم ومصادرهم والناقل عن غيرهم أنه قريب من مذهب الخوارج من حيث وجوب الخروج مطلقاً ، وهذا ليس صحيحاً ، وإنما مذهبهم في هذا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب مع الاستطاعة وأن الخروج على حكام الجور وسلاطين البغي جائز مع القدرة بل هو واجب حيث غلب على الظن القدرة على التغيير مع أمن الفتنة وغلبة المصالح على المفساد ، وهذا مذهب وسط بين الموجبين بإطلاق وبين المانعين بإطلاق .

وخلاصة القول أن الإباضية لا تقول بتكفير المخالفين ولا استحلال الدماء والأموال ، ولا تجعل دار السلطان الفاجر دار كفرٍ ، ولا تقول بتكفير من قعد عن الخروج على سلاطين

<sup>١</sup> معهد العلوم الشرعية حالياً - سلطنة عمان ( الخوير ) .

<sup>٢</sup> بيان للناس ، محمد شحاته أبو الحسن ، ص ٤ .

<sup>٣</sup> مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، ط ٥ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، ص ٣٣٣ .

35

الحرب ، ولو قارناً بينهم وبين الأمويين لوجدنا بوناً شاسعاً في هذه الناحية ، فقد ظهرت في حروب الأمويين الوحشية والطابع البدوي والخروج على القيم الإسلامية في حروبهم للإباضية.

ونستطيع أن نلتمس الصدق في هذه السلوكيات في الإجراءات التي اتخذها طالب الحق حيال العمال والولاة الأمويين ، فعندما دخل صنعاء حبس الضحاك بن زمل الذي تركه القاسم بن عمر والياً على صنعاء بعد خروجه لطالب الحق وإبراهيم بن جهلة الكندي الذي وقع في الأسر للمرة الثانية بعد طرده من حضرموت ، وحبسهما لمدة قصيرة ، وأطلق سراحهما ، وقال : " إنما حبستكما مخافة من العامة عليكما ، وليس عليكما مكروه فأقما أو أشخصا " ، فطلبوا الخروج من اليمن .

إن هذه الإجراءات التي اتخذها طالب الحق في حضرموت أولاً وفي صنعاء ثانياً أراد أن يبرهن لأعدائه والمسلمين عامة صدق التطبيق ومحو الصورة المشوهة التي رسخت في أذهان المسلمين نتيجة للممارسات السياسية السابقة للحركات الخارجية كالأزارقة والنجيدات على سبيل المثال <sup>(١)</sup> .

ج- وقد قارن بين الإباضية وبين الفرق الخارجية فقال : " وعند مقارنة الإباضية بنظيراتها من الفرق الخارجية التي استمدت تعاليمها من المحكّمة الأولى نلاحظ هذه الفرق أقلّ نضجاً من الإباضية في معالجتها للأمور السياسية ، فلم يعرف الأزارقة أو النجيدات المرونة السياسية واستيعاب المشاكل السياسية الجديدة التي تعرّض لها المجتمع الإسلامي ؛ ولهذا كتب على هذه الفرق الانقراض ، في حين كان قادة الإباضية أكثر فهماً وموضوعية لإدراك طبيعة الكيانات السياسية التي تعاملوا معها كالدولة الأموية والعباسية ، فاتبعوا الأساليب المناسبة بما تعزز استمرار وجودهم ، وانتشار دعوتهم ، وأخيراً قيام دولتهم في المشرق والمغرب ، ونتيجة لهذا الإدراك السياسي كانت هذه الحالات الأربع ( الكتمان ، الدفاع ، الشراء ، والظهور ) نموذجاً للمراحل التي مرت بها الدعوة مستعملة في كل منطقة سلوكاً يلائم الأحوال السياسية فيها <sup>(٢)</sup> .

د- وقال في خاتمة بحثه في أهم النتائج التي توصل إليها : " وقد ظهر لنا أن هذه الفرقة [ الإباضية ] كانت على خلاف عقائدي وسياسي مع فرق الخوارج المتطرفة كالأزارقة والنجيدات

<sup>١</sup> الحركة الإباضية في المشرق العربي ، مصدر سابق ، ص ١٠٢ .

<sup>٢</sup> الحركة الإباضية في المشرق العربي ، مصدر سابق ، ص ٢٧١ .

، حيث امتازت هذه الفرقة بمواقفها المعتدلة فلم تكن تكفر المسلمين المخالفين لهم في المذهب ،  
واتضح لنا أن هذه الميزة هي إحدى مبررات بقائهم كمذهب إسلامي يمثل استمرار المحكمة  
الأولى حتى تاريخنا المعاصر <sup>(١)</sup> .

٢٠- والدكتور نايف عيد جابر السهيل في كتابه " الإباضية في الخليج العربي في القرنين  
الثالث والرابع الهجريين " قد تحدث كثيراً عن الإباضية :

أ- فيتحدث عن مؤتمر الفقه الإسلامي المعاصر المنعقد في سلطنة عمان في شهر رجب /  
مارس ، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م في رؤية معاصرة للإباضية قال فيها : " وقد أشارت أبحاث  
المؤتمر إلى أن عدد الإباضية في العالم الإسلامي يبلغ الآن مليونين من المسلمين ، حافظوا  
على أنفسهم في التجمعات البعيدة عن الأنظار في المناطق النائية ، غائبة عن المعتزك السياسي  
والفكري الذي ارتبط بمقر الخلافة في المشرق الإسلامي ، مما ساهم في التجهيل بها ، فضلاً  
عن الترويج لمختلف الاتهامات التي ألصقت بهم ، وفي مقدمتها نسبتهم إلى الخوارج وإضافتهم  
إلى من ضل من فرق المسلمين ، رغم أن الحركة الإباضية كان لها حضورها في التاريخ  
الإسلامي ، هذا الحضور الذي لم يظهر بحجمه في مختلف كتب التراث الإسلامي ، وما ظهر  
منه إما جاء مشوهاً أو نادر المعلومات وقليل الحقائق .

والمشكلة أن هذه الفرقة تعرضت إلى التباس كبير أحاط بمذهبهم وأهله طوال القرون  
التي انشقت من التاريخ الإسلامي ، فهم خرجوا فعلاً على الإمام علي ، ولكنهم يبرؤون من  
الخوارج ، والتقاؤهم مع الخوارج في الموقف السياسي لم يؤثر على التقائهم مع أهل السنة في  
الموقف الفكري أو الفقهي ، وهم دائماً جزء من الواقع الجغرافي الإسلامي ؛ لكنهم أسقطوا من  
الحساب عندما دُوّن التاريخ الإسلامي <sup>(٢)</sup> .

ب- وقال أيضاً : " وقد أكد أيضاً الدكتور إبراهيم عبدالعزيز بدوي ( جامعة الأزهر ) أن  
المذهب الإباضي ليس مستحدثاً ، وإنما نشأ متأصلاً على القواعد الصحيحة ، مدعماً بالأصول  
الواضحة الثابتة ، فبالنظر والتتبع لا يوجد في فقهه ما يخالف الكتاب والسنة النبوية ، ولعموم  
الأصول التي اتفق عليها المسلمون جميعاً .

<sup>١</sup> المصدر سابق ، ص ٢٨٤ .

<sup>٢</sup> الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، نايف عيد جابر السهيل ، مكتبة مسقط ، مسقط - سلطنة عمان ، ط ٢ ، ١٤١٨هـ -  
١٩٩٨م ، ص ٢٥٥ .

والمهم كما أكد الأستاذ فهمي هويدي أن كل مناقشات " مؤتمر الفقه الإسلامي " الذي عقد في رحاب جامعة قابوس بمسقط ، اتفقت على صحة المحاور الأساسية للفقه الإباضي ، ولم يجادل فيها أحد ، ولم يختلف عليها أحد .

وهذا ما يعني " براءة الإباضية " من كل ما ألصق بهم من تهم وأباطيل ، وأنهم فرقة أصيلة من فرق الإسلام أن الأوان كي يعرف أبناء الإسلام دورها ورجالها وحقائقها ، وهو يعني أيضاً أن المسلمين كسبوا جولة هامة من جولات معركة وحدة الصف الإسلامي .

ومع ذلك فإنه لا يستطيع الباحث أن يقطع الصلة بين مؤسس المذهب الإباضي وعلاقته بحركة الخوارج حتى وإن كانت علاقة سلبية اتخذت فيها مواقف مع الرأي العام والأغلب لعناصر الرفض .

إلا أن المذهب الإباضي بانتمائه التاريخي يشكل مذهباً جذره التاريخي منطلق من تيار الخوارج ، حتى وإن اختلف المذهب فيما بعد وأصبح يشكل معطيات جديدة لا تضعه أبداً بين أجنحة الغلو في الفكر الخارجي .

ويستخلص من ذلك كله أنه لا التقاء بين الإباضية مع الخوارج إلا في نقطتين اثنتين هما

:

أ- رأيهما في التحكيم باعتباره خطأ وخدعة كبرى .

ب- أنهم لا يعترفون بالقرشية أساساً أو مؤهلاً وحيداً للإمامة ، وسواء كان ذلك خطأ أم صواب - وهي قضية ليست محل مناقشة ، فإن الأمة - كل الأمة - سواء عن رضى واقتناع أو عن واقع تعيشه ، فقد أصبح رأي الأمة الإسلامية اليوم هو : رأي الإباضية والخوارج لما فيه الكثير من الوجهة والقبول .

وفيما عدا هاتين النقطتين فإن الإباضية تتفصل عن الخوارج انفصلاً كاملاً لا لقاء معه ، ويقفون أمامهم أعنف المواقف .

وتتجه الرؤيا المعاصرة لأصول الإباضية - على نحو ما جاء في مؤتمر الفقه الإسلامي في سلطنة عمان - أن الإباضية ساروا وفق المنهج الإسلامي ولم يخرجوا عن ملة الإسلام ،

ولم يفعلوا ما يغضب الله والمسلمين منهم ، وإنما كان لهم رأيهم حينما قبل علي بن أبي طالب التحكيم ، وترك أمر الخلافة لحكمين .

لذا فهم يرون أن من حقهم - كما هو حق لكل المسلمين - أن يبدو رأيهم حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية وسنة الرسول - ﷺ - : **ج** ن ط ج (الشورى / ٣٨) ، **ج** ق ق ق **ج** (آل عمران / ١٥٩) ، أي أن الأمر شورى ، كما أن أسس اختيار الخليفة وطرق الاعتراض عليه لم تتبع هنا .

لذلك انشقت جماعة على الخليفة علي بن أبي طالب عندما أصر على تنفيذ إجراءات التحكيم ، ونادت بانتخاب خليفة للمسلمين عبر طريق الشورى دون اعتبار للنسب القبلي من هذه الجماعة : جماعة الإباضية <sup>(١)</sup> .

**ج**- وتكملة مباشرة لكلامه السابق يؤكد الدكتور سهيل على أن الإباضية لم يفعلوا ما يعطي الحق باتهامهم بالخروج عن ملة الإسلام فقال : " أي أن الإباضية لم يفعلوا ما يعطي الحق باتهامهم بالخروج عن ملة الإسلام ، وعلى الرغم من ذلك فإن كثيراً من كتّاب الفرق والعقائد والنحل والكثير من الكتّاب القدماء والمحدثين يعتبرون الإباضية إحدى فرق الخوارج ، وهذا واضح في كتابات الأشعري والملطي الشافعي ، والبغدادى والخطيب الرازي ، وابن حزم الأندلسي والشهرستاني والشاطبي الغرناطي ، فضلاً عن الكثير جداً من الكتّاب المعاصرين المستشرقين منهم وغير المستشرقين .

وأدخل بعضهم عن جهل أو تعصب الإباضية ضمن فرق الغلاة الذين غلو بدينهم وخرجوا عن أصول الإسلام ، ولا يوجد أنى شك في أن أعداء الإسلام في مختلف الأزمنة ، قد دسّوا نصوصاً ليحطموا روح دولة الإسلام ويدمروا كيان المسلمين <sup>(٢)</sup> .

**د**- وعن مصادر التشريع عن الإباضية التي يجتمعون فيها مع باقي الفرق الإسلامية قال : " ومعروف أن الإباضية أخذوا بالقرآن الكريم كمصدر رئيسي للدين ، مصدرهم الثاني هو السنة الصحيحة ، وبعدها الإجماع إذا استوفى الشروط المعروفة عن الأصوليين ، والمصدر الرابع هو القياس ، وأخيراً المصدر الخامس وهو الاستدلال .

<sup>١</sup> الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مصدر السابق ، ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .

<sup>٢</sup> الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

كما أنهم كانوا معتدلين بآرائهم ولم يغالوا بفكرهم ، ولم يستحلوا دماء وأموال العصاة من المسلمين ، وأن كبائرهم كالزنا والخمر لا تخرجهم من ملة الإسلام ، فهم موحدون أي يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

لذلك فإن من يخلط بين الإباضية والخوارج ، ويعتبر الإباضية من فرق الخوارج عليه أن يعيد النظر في ذلك ، ويتعمق بدراسة الفقه الإباضي ، ويعادل كفه مصادره ومراجعته بالرجوع إلى المصادر والمراجع الإباضية<sup>(١)</sup> .

هـ - وعن مؤشرات الخلط بين الإباضية والخوارج وتتميز الإباضية بأفعالهم عن الخوارج قال : " وبالرغم من وجود مؤشرات للخلط بين الإباضية والخوارج إلا أنه توجد هناك أفعال إباضية لا تدع مجالاً للخلط ، منها : ما تورده المصادر الإباضية ، ومنها ما ورد في المصادر غير الإباضية .

في موقف تتقله المصادر الإباضية : أن عبدالله بن إياض لما عزم على الخروج بعد لقاء ابن الزبير - بالقطع - مع نافع بن الأزرق وسمع دوي القراء ورنين المؤذنين وحنين المسبحين عندئذ قال لأصحابه : أعن هؤلاء أخرج ؟ وكتم أمره واختفى ولم يخرج معهم .

وفي موقف آخر تتقله المصادر غير الإباضية : حين اصطاح أهل البصرة على عبدالله بن الحارث ، فتجرد الناس للخوارج وأخافوهم ، فلحق نافع بالأهواز في شوال سنة أربع وستين ، وخرج من بقي منهم بالبصرة إلى ابن الأزرق إلا من لم يرد الخروج يومه ذلك ، منهم عبدالله بن الصفار ، وعبدالله بن إياض ، ورجال معهما على رأيهما ، ونظر نافع فيما يرويه عنه ابن الأثير ، فرأى أن ولاية من تخلف عنه لا نجاة له ، فقال لأصحابه ذلك ودعاهم أي البراءة منهم ، وأنهم لا يحل لهم مناكرتهم ولا أكل ذبائهم ولا يجوز قبول شهاداتهم وأخذ العلم عنهم ولا يحل ميراثهم ، ورأى قتل الأطفال والاستعراض ، وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ، فأجابهم إلى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم .

وممن فارقه " نجدة بن عامر " وسار إلى اليمامة فأطاعت الخوارج الذين بها وتركوا أبا طالوت ، فكتب نافع إلى عبدالله بن إياض وابن الصفار يدعوهم ومن معهما إلى ذلك ، فقرأ ابن صفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يتفرقوا أو يختلفوا ، فأخذ ابن إياض فقرأه

<sup>١</sup> المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

فقال : " قاتله الله أي رأي رأي ؟ لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً ، وكانت سيرته كسيرة النبي - ﷺ - في المشركين ، ولكنه كذب فيما يقول : إن القوم براء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلا دماؤهم ، وما سوى ذلك فهو حرام علينا ، فقال له ابن الصفار : برئ الله منك فقد قصرت ، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا ، فقال ابن إياض : برئ الله منك ومنه .

أي أن الإباضية يتبرؤون من الفرق التي غالت في الدين ، ويؤكدون في هذا أنه لا تجمعهم بالخوارج جامعة ولا يمتون إليهم بصلة" (١) .

و- وقال عن المحدثين من الكتّاب والباحثين " أما المحدثون - من الباحثين - والمؤرخون فقد سار معظمهم حسب ما أورده قدامى الكتّاب ، وأنهم - وقد تعددت المصادر والمراجع أمامهم وعرفوا كثيراً عن حقائق الإباضية وآرائهم - حاولوا أن يصححوا مفاهيمهم وردت في كتب المقالات القديمة تجاه الإباضية ، ولكن ليس جميعهم ملك الشجاعة وأعلن حكمه النهائي في الإباضية من حيث براءتهم من الخروج على الدين أو المروق والتمرد على الخلفاء الأتقياء ، وكذلك حول براءة الإباضية من تهمة الخوارج .

ورغم ذلك لا يمكن إنكار أن الإباضية قد خرجوا مع كافة من خرج ؛ لكنهم استطاعوا أن يتميزوا عن الخوارج منذ نشأتهم ، ففكر الإباضية شيء وفكر الخوارج شيء آخر ، وما يراد الخوارج من مغالاة وتطرف يقابله الإباضية بالاعتدال وعدم التطرف .

أي أن تراث الإباضية في مفهومه وفلسفته يختلف عن تراث الخوارج بقيادة الأزارقة والنجادات ، ويتضح من ذلك كله أن الإباضية خرجوا مع من خرج على التحكيم ، ولكنهم ابتعدوا عن التطرف الذي سار فكر الخوارج ونشاطهم ، ومن ثم كانت الرؤيا المعاصرة نحوهم تميل إلى إنصافهم مع عدم تغيير حقيقة وضعهم التاريخي ، واعتبارهم نموذجاً للفكر الإسلامي للتححرر من التطرف ومواكبة متطلبات المجتمع الإسلامي ، وهو الأمر الذي اتسم به الإباضية فعلاً وعملاً حتى الوقت الحاضر" (٢) .

<sup>١</sup> الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مصدر السابق ، ص ٢٦٠ .  
<sup>٢</sup> الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مصدر السابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .

ز- وقال عنهم في آخر كلامه : " إن الإباضية في كل مؤلفاتهم تقريباً كانوا أكثر هذه الفرق تعقلاً في إبداء آرائهم ، فعلى الرغم من شدة هجومهم على الدولة الأموية ، وهذا ليس بمستغرب على نشأة الفرقة ودواعي مقاصدهم ، وشدة هجوم الأمويين عليهم ، إلا أنهم كانوا شديدي التعقل لآرائهم في ولادة الأمر ، وبخاصة مسألة خلافة عثمان - رضي الله عنه - فلم يجرحوا هذا الخليفة كما جرحته فرق كثيرة ، ولم يشككوا في خلافته - أيضاً - فرقاً كثيرة ، وهذه نقطة تحسب للإباضية وتزيد من رصيدهم باعتبارهم إحدى الفرق الإسلامية الأصلية ، ويظهر موقف الإباضية الصريح من رفض غلاة الخوارج حيث قال ابن إياض في جلاء : " أما زعيم الخوارج ابن الأزرق فنحن نتبرأ منه لغلوه ، وتشدده ، وإفراطه في الأحكام ، حين حكم في المسلمين المذنبين بالكفر " ، وهذه الجملة تحدد التطور الفكري لفرقة الإباضية من جماعة الخوارج وأفكارها ، ولاسيما من حيث حكمها على المسلمين بالكفر واستحلالهم دماء المسلمين ، ومن ثم يعلن ابن إياض انضمامهم - أي الإباضية - إلى الركب الإسلامي في نفوره من الغلو في فكر الخوارج والالتزام بالاعتدال ، أي الفكر الذي شاهده التاريخ الحضاري للإسلام منذ نشأته <sup>(١)</sup> .

| م  | الموضوع              | الصفحة |
|----|----------------------|--------|
| ١  | الحلقة الأولى        | ١      |
| ٢  | هذه مبادئنا          | ٣      |
| ٣  | المقدمة              | ٤      |
| ٤  | أحمد أمين            | ٧      |
| ٥  | مجلة التضامن         | ٧      |
| ٦  | رجب محمد عبدالحليم   | ٩      |
| ٧  | سيدة كاشف            | ١٢     |
| ٨  | عبدالحافظ عبد ربه    | ١٦     |
| ٩  | عبد الحميد درويش     | ١٩     |
| ١٠ | عبد الرزاق طوطاوي    | ٢١     |
| ١١ | عبدالعزیز المجدوب    | ٢٤     |
| ١٢ | عبد اللطيف محمد نصار | ٢٧     |
| ١٣ | عز الدين التنوخي     | ٢٧     |
| ١٤ | الحلقة الثانية       | ٢٨     |
| ١٥ | علي أكبر ضيائي       | ٢٩     |
| ١٦ | عوض خليفات           | ٢٩     |
| ١٧ | فاروق عمر            | ٣٠     |
| ١٨ | مصطفى الشكعة         | ٣١     |
| ١٩ | محمد رشيد العقيلي    | ٣٣     |
| ٢٠ | محمد شحاته أبو الحسن | ٣٤     |
| ٢١ | محمد الغزالي         | ٣٤     |
| ٢٢ | محمد نعيم            | ٣٤     |
| ٢٣ | مهدي طالب هاشم       | ٣٥     |
| ٢٤ | نايف عيد جابر سهيل   | ٣٧     |

سلطنة عمان

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

## مواقف منصفة لأهل الحق والاستقامة

أربعون (٤٠) عالماً وباحثاً سطوروا كلمات صريحة عبروا بها عن ثنائهم الصادق  
للمذهب الإباضي

### (( الحلقة الثالثة ))

٢١ - ٣٠

إعداد

الطالب/ يحيى بن أحمد بن علي بني عرابة

السنة الرابعة / فقه ودعوة

العام الجامعي: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

٢١- قال الدكتور عبد الرحمن الصابوني عن نسبة المذهب الإباضي ونشأته: " تنسب الإباضية الى عبد الله بن إياض التميمي المتوفي عام ٨٠ من الهجرة في عهد الخلفية الأموي عبدالملك بن

مروان، أما مؤسس هذا المذهب فهو جابر بن زيد أحد كبار التابعين كما يذكر فقهاء الإباضية المعاصرين خلافا لما سارت عليه المراجع القديمة التي تكتفي بنسبة المذهب إلى عبد الله ابن إياض، ورغم أن جابر كان أصغر سنا من عبد الله إلا أنه كان أستاذا له، وقد نسب المذهب إلى عبد الله؛ لأنه كان أكثر ظهورا في الميدان السياسي عند الدولة الأموية، وأكثر شهرة في الأوساط العلمية.

وبما ان الدولة الأموية كانت تراقب جابر وغيره فسمتهم كما سمت أكثر معارضيها بالخوارج للتطرف والتنكيل بهم، فقد كانت الدولة توجه هذا اللقب لكل معارض تحاول التخلص منه أو إيقاف وملاحقته"، وأما عن فقه الإباضية ومصادره فقد أضاف الصابوني قائلا: " وللإباضية فقه مدون عرفوا بالتقوى وحسن الخلق والتمسك بأهداب الفضيلة والدين، يقيم معظمهم في مسقط وعمان والجزائر.

وفرقة الإباضية أقرب الفرق الى المذاهب السنية وأقلها تعصبا وبعدا عن الأحكام الفقهية المتفق عليها، لان بعض الفرق الاخرى اشتهرت بالتعصب الممقوت مما ادى الى تفكيرهم من اعدائهم، وكثيرا ما عارض عبد الله بن إياض نافع بن الازرق بأرائه المتطرفة وخالفه مخالفة شديدة وخاصة فيما كان يراه ابن الازرق في أطفال المشركين وجواز قتلهم، أما المصادر التي اعتمد عليها فقهاء الإباضية كأصل لمذهبهم في الادلة المتفق عليها: القرآن والسنة والاجماع والقياس، وكذلك أخذ فقهاء هذا المذهب بخبر الأحاد والحديث المرسل"، وأضاف قائلا: " وقد اطلعت خلال هذه الطبعة من كتابي على مؤلف في تاريخ الإباضية للأستاذ علي يحيى معمر يناقش فيه آراء العلماء القدامى والمعاصرين الذين كتبوا عن الإباضية ونشأتها وفقهها وعنوان الكتاب "الإباضية بين الفرق الإسلامية"، ومن الواضح أن فقه الإباضية مستقل عن فقه الفرق التي أطلق على مجموعها بالخوارج، وقد ذكر أحد أئمة الإباضية الإمام أبو إسحاق أطفيش: الخوارج طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين، رؤوسهم نافع ابن الازرق، ونجدة بن عامر، ومحمد بن الصفار، ومن شايعهم، وسموا خوارج؛ لأنهم خرجوا عن الحق وعن الأمر بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك فاستحلوا ما حرم الله من الدماء والأموال بالمعصية، ويقول أيضا: إن تسمية الخوارج لم تكن معهودة في أول الأمر، وإنما هي انتشرت بعد استئراء أمر الأزراقة، ولم تعرف هذه التسمية في أصحاب المنكرين للتحكيم والراضين به، ولعل أول ما ظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الأمر لمعاوية".

٢٢- قالت فاليري هوفمان عندما سئلت عن سبب دراستها للمذهب الإباضي: "... كنت لا أعرف كثيرا عن المذهب الإباضي؛ لأن المتخصصين في الدراسات الإسلامية في الخارج لا يعرفون كثيرا عن المذهب الإباضي، قد يعرفون الأصل التاريخي، ولكنهم لا يعرفون شيئا عن عقائده، ولذلك رأيت أنني لا بد أن أسافر الى عمان لأدرس شيئا عن المذهب الإباضي؛ وخصوصا العلماء في فترة البوسعيديين في زنجبار، أي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، المهم أنني قد حصلت على منحة دراسية، وأنا هذه السنة مرتبطة بقسم التاريخ الذي يرأسه الدكتور

إبراهيم الصغـيرون من السودان، وقد كان طالبا عند زميلي، وكنت على اتصال به منذ سنتين، وأخيراً التقيت به وكان يساعدني كثيرا وأشكره على ذلك، وكان اختصاصه بحث العلاقة بين عمان وشرق أفريقيا، فكانت قراءاتي عامة للمصادر الإسلامية والإباضية.

قالت فاليري هوفمان في جوابها على السؤال التالي " ما الذي دعاك لدراسة المذهب الإباضي، وهل يملك المذهب الإباضي رؤية واضحة يقدمها للمجتمع الأمريكي؟ " فأجابت: " درست المذهب الإباضي لكي أفهم المخطوطات التي قرأتها، وبعض المنشورات أيضاً؛ لأن قاموس الشريعة نشر في زنجبار قبل أن ينشر في عمان، وأنا قرأت بعض أجزاءه، وأيضاً؛ لأن المذهب الإباضي مهم في تاريخ عمان، فأردت أن أفهم أكثر عن الإباضيين في شرق أفريقيا، ميزة المذهب الإباضي بالنسبة لي، أن المذهب الإباضي يجمع بين العقل والنقل بطريقة أشمل وأكمل من الفرق الأخرى.

ثانياً: الناحية الروحية والمعرفية للتصوف والأخلاق توجد في الفقه الإباضي أكثر من المذاهب السنية، ولاحظت عندما كنت في زنجبار، وقرأت الجزء العاشر من قاموس الشريعة، وفيه يتكلم جميل السعدي عن التصوف والزهد، تبين لي أنه لا يعتبر الصوفية فرقة خارجة عن الإسلام ولا عن المذهب الإباضي، فهو يعتبر هذا الجزء مثل أي جزء آخر من الآداب الإسلامية لأبد من دراسته وفهمه، والميزة التي كان كان يتكلم عنها هي الاخلاق والمعرفة الإلهية والنور الإلهي الذي يأتي من الله مباشرة الى الفرد، وايضا لما قرأت في الجزء الثالث من كتاب الحق المبين والحق اليقين للشيخ ناصر بن أبي نبهان وجدته كتب صفحات كثيرة وفصولا كثيرة عن كيفية العلم، كيف يعرف أحدنا الله ويعرف الحق، وفي آخر كل هذا الكلام؛ من النواحي الفلسفية قال: إن أحسن طريق إلى العلم هو النور الإلهي المباشر، وهذا هو المفهوم الصوفي، لكن الذي يعجبني هو قوله: إن هذا شيء طبيعي داخل في الإسلام.

ثالثاً: الفكر السياسي عند الإباضية يعتبر الأقرب إلى الديمقراطية من أي فكر إسلامي آخر، فأعتقد أن التركيز على العدالة شيء مهم في حياة الناس " .

٢٣- قال الدكتور محمد بن عبد الرحمن محمد الضويني في بداية حديثه عن الإباضية: " الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة، ينسب الى عبد الله بن اباض، ولكن هذه النسبة اسميه، لم يطلقها اصحاب المذهب على انفسهم، ولكن اطلقها عليهم غيرهم، فقبلوها، وان كان اصحاب هذا المذهب يطلقون على انفسهم اهل الحق والاستقامة، ولكن المؤسس الحقيقي لفقه هذا المذهب هو الامام جابر بن زيد الازدي.

وسنلقي الضوء على إمام المذهب، وعلى الأصول التي عليها المذهب في الاستنباط، محاولين تمييز الإباضية عن الخوارج من حيث النشأة والمنهج، حيث إن نسبة إيهما إلى الآخر ينطوي على ظلم كبير- تاريخي- خاصة للمذهب الإباضي".

وقال الضويني عن الذين رفضوا الخروج بعد حادثة التحكيم: "أما من رفضوا هذا الخروج ورفضوا سل السيف في وجه المسلم، ولجأوا الى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فهؤلاء من عرفوا بالقعدة وهؤلاء كان على رأسهم أبو بلال مرداس بن أدية التميمي، ثم عمران بن حطان من بعده، هؤلاء القعدة الذين قعدوا عن إشهار السيف في وجه المسلمين، فلم يستحلوا

دماءهم، هم من أطلق عليهم اسم الإباضية، فهم نعم يرفضون التحكيم ويعتبرونه تنازلاً من الإمام علي، ويتعاطفون مع المحكمة الأولى بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي إلا إنهم لم يخرجوا لقتال الإمام علي، ولم يكفروا أحداً من أهل القبلة إلا إذا اخل بالاعتقاد الإسلامي، كإنكار ما علم من الدين بالضرورة، أو أنكر الإنسان صفة من صفات الله تعالى وقد استقرت هذه الجماعة بالبصرة، وعرفت في أول الأمر باسم جماعة المسلمين.

ويجيب الضويني عن السؤال: لماذا قيل عن الإباضية أنهم من الخوارج، وهل هناك فرق بين الخوارج والإباضية؟، فقال في جوابه: " للإجابة على ذلك نقول: لقد تعرض الإباضية إلى ظلم تاريخي كبير، إذ نسبهم كثير من كتاب الفرق والملل والنحل نسبة ظالمة إلى الخوارج، وأكد أن هذه النسبة غير صحيحة، فهم يختلفون عن الخوارج ويخالفونهم في أمور كثيرة راجعتها بنفسها من خلال مؤلفات المذهب بنفسه، وبتجرد، قد تعلمنا أن نأخذ الرأي من منبعه، وأقوال المذهب من مؤلفات فقهاءه، وأي قول بغير ذلك، أو أخذ لقول مذهب من مؤلفات غيره إنما ينم عن عدم أمانة وتجهيل، فضلاً عن مجافاته لأصول البحث العلمي الصحيح.

أما لماذا قيل بأن الإباضية إحدى فرق الخوارج؟ فهذا يرجع في تقديره إلى سببين:

الأول: أن الإباضية ومن كانوا يميلون إليهم من المحكمة الأولى يشتركون مع الخوارج في إنكار التحكيم فقط، فكان ذلك شبهة في إطلاق لفظ الخوارج عليهم، حيث جمع المنكرون جميعهم في صعيد واحد، دون تفرقة بينهم.

الثاني: أن الأمويين أطلقوا اسم "الخوارج" على كل من خالفهم وعارض ملكهم في محاولة لإثارة الرأي العام ضدهم، حيث إن الرأي العام حائق على الخوارج الذين أطلقوا لأنفسهم العنان في استباحة دماء المسلمين، وهو ما لم يفعله الإباضية.

وما فعله الخلفاء الأمويون هنا إنما هو تسمية للأمر بغير حقيقة مسماه أو تعميم اللفظ ليشمل من ينطبق عليه ومن لا ينطبق عليه؛ لإثارة الرأي العام ضدهم، وهذا ما تفعله السياسة غير الراشدة إلى اليوم، والواقع يؤيد ما نقول، فقد اطلق الغرب على المدافعين عن عرضهم وأرضهم بفلسطين لفظ الإرهابيين تعمية للحقيقة، حتى يتخلّى عنهم الرأي العام، ويتهياً لما يمكن أن يمارس ضد المقاومة من أنواع العذاب والتنكيل والإبادة، فهذا هو ما حدث من بني أمية، حيث لم تعرف هذه التسمية في عهد الإمام علي، وإنما عرفت في عهد معاوية خاصة بعد فحش ما فعله الأزارقة من الخوارج.

وتأكيد هذا وتدعيمه إنما يأتي من الإجابة على الشق الثاني من السؤال، وهو إثبات الفرق والاختلاف بين الإباضية والخوارج، فقرر أن الإباضية يخالفون الخوارج في أمور كثيرة منها:

١. أن الإباضية تبرؤوا إلى الله من الخوارج وصنيعهم، وهذا ما أوضحه عبد الله بن إباض في رسالته إلى عبد الملك بن مروان، إذ قال فيها: " إن براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه

وأتباعه، لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا، ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم " ، ومن الثابت أيضاً أن الإباضية تبرؤوا من باقي فرق الخوارج كالصفورية، والنجدات، والحفصية، والحارثية، واليزيدية، فكيف الإباضية من الخوارج إذن؟ وهم كانوا يناهضون الخوارج ويتبرؤون منهم.

٢. أن الإباضية يجيزون المناكحة بينهم وبين سائر الموحدين، ولا يمنعون التوارث بينهم وبين غيرهم ، بينما الخوارج لا يجيزون التناكح من غيرهم، ويمنعون التوارث بينهم وبين غيرهم لأنهم يعتبرون غيرهم من المشركين.

٣. أن الإباضية يعتبرون الإجماع مصدراً من مصادر التشريع، فهو الأصل الثالث عندهم، بينما ينكر الخوارج الإجماع.

٤. أن الإباضية لا ينكرون رجم الزاني المحصن، ويعلنون ثبوته بالسنة القولية والعملية، بينما ينكره الخوارج لعدم ثبوته في القرآن عندهم.

٥. يثبت الإباضية القول بعذاب القبر وسؤال الملكين بأحاديث ثبتت صحتها عندهم، بينما ينكر الخوارج عذاب القبر.

٦. لا يستحل الإباضية دماء مخالفيهم، وكذلك لا يستحلون غنيمة أي مال من أموال المسلمين، سواء كان سلاحاً أو غيره، بينما يستحل الخوارج دماء مخالفيهم، كما يستحلون غنيمة أموال المسلمين من السلاح والكراع.

هذه أمثلة فقط على مخالفة الخوارج للإباضية، وهي دالة بذاتها على بُعد الإباضية عن الخوارج، وعدم نسبتهم إليهم، وهذا ما يستطيع أن يتبينه أي منصف بسهولة ويسر، من خلال الرجوع إلى أمهات الكتب في المذهب الإباضي<sup>١</sup>.

وعن مصادر الفقه عند الإباضية قال الضويني : المذهب الإباضي في جملته يعتمد - ولا ريب - على الكتاب والسنة، لذلك لا تكاد تجد قولاً في المذهب إلا وهناك ما يقابله عند أهل السنة إلا فيما ندر، أقول ذلك عن قرب من المذهب واطلاع على مصادره فبحكم تخصصي في الفقه المقارن قارنت في رسالة الدكتوراه بين المذاهب الفقهية، وكان من بينها المذهب الإباضي ففي كل مسألة كنت أرجع فيها إلى المذهب كنت أجد قول المذهب الإباضي فيها يتلاقى مع مذاهب أهل السنة، وما يوجد من خلاف في بعض الآراء لبعض المسائل، فهو أيضاً مما يقع بين مذاهب أهل السنة.

وعند تدريسي لفقه الأحوال الشخصية مقارناً بينه وبين المذاهب السنية والمذهب الإباضي تأكد لي ذلك، وهذا ما يدفعني إلى القول باطمئنان أن الفقه الإباضي، فقه يقوم على

<sup>١</sup> تاريخ التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٣٠

كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم وأن شيوخ المذهب قد برعوا في الاستدلال ومناهج الاستنباط، مع وضوح الفكرة، ورسوخ القدم فيما يتناولونه من مسائل فقهية<sup>١</sup> وقال أيضاً: " وأصول المذهب الإباضي كمذاهب أهل السنة قامت على المصادر التالية: وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستدلال الذي يندرج تحته الاستصحاب والاستحسان والمصالح المرسلة"<sup>٢</sup> وقال أيضاً " الفقه الإباضي قائم على ما قام عليه فقه أهل السنة من أصول ومصادر التشريع، فهم كغيرهم من أهل السنة في العمل بالأدلة المتفق عليها، أما الأدلة المختلفة فيها بين أهل السنة، فإنهم دائماً وأبداً يوافقون بعض اتجاهات أهل السنة، ولا ينفردون برأي يخالف أي اتجاه لهم، فكل الأدلة عندهم محمولة على النص أو مقتبسة منه بما تقرر من قواعد وكليات، وهكذا نجد الإباضية كغيرهم من أهل السنة يحتاطون في استنباط الأحكام الشرعية، معتمدين في كل ما استندوا إليه بالبناء على النصوص، فإذا تعارضت المصلحة مع النص فهي عندهم من قبيل الأهواء النفسية والانحرافات الفكرية، وكانوا على من ادعاها أشد نفوراً وإنكاراً"<sup>٣</sup>.

٢٤- قال عبد الله آل السيف عن المذهب الإباضي: " من المذاهب الإسلامية التي ساهمت في خدمة الإسلام والمسلمين بإيجابية دؤوبة، المذهب الإباضي وأتباعه منذ ظهور هذا المذهب على يد الإمام التابعي جابر بن زيد اليعمدي الأزدي العماني، المكنى بأبي الشعثاء، والذي عاش بين عام ( ٢١-٩٦هـ) أما الإمام عبد الله بن إياض الذي ينسب له المذهب فقد عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حيث عاصر معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، الفرع السفيني، وعبد الملك بن مروان الفرع المرواني"<sup>٤</sup>.

وقال عن عبد الله بن إياض ودفاعه عن المذهب الإباضي: " وقد عرف عن الداعية عبد الله بن إياض دفاعه عن الجماعة ومعتقداتها ومواقفها، وتميزهم عن الخوارج لبعدهم عن علاقتهم بهم، وبأنهم غير متطرفين كما يشاع عنهم، وقد أطلق عليهم خصومهم الأمويون اسم إباضية، نسبة إلى الإمام عبد الله بن إياض وهو الذي عاصر إمام الجماعة جابر بن زيد الأزدي، وتتلذذ عليه، وبهذه التسمية وغيرها من المعتقدات تميزوا عن الخوارج.

ربما لحقت بهم تهمة الخوارج لخروج عبد الله بن إياض فيمن خرج على الإمام علي بن أبي طالب خليفة المسلمين كما أنه ممن خرج من فرق المحكمة للدفاع عن مكة المكرمة وكعبتها المشرفة عندما حاصرها الجيش الأموي إبان عهد يزيد بن معاوية عام ٦٤هـ والتي لجأ إليها فيما بعد منازع الأمويين في الخلافة عبد الله بن الزبير"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٣٢

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٣٣٨.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ص ٣٤١

<sup>٤</sup> الإسلام والمسلمون، عبد الله آل السيف، (د، ر)، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ١٧٢.

<sup>٥</sup> المرجع السابق، ص، ١٧٤

وقال عن عقائد الإباضية: " الإباضيون مسلمون موحدون يؤمنون بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه وسله، قبلتهم الكعبة المشرفة وحجهم إليها، ويقيمون الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة، ويؤتون الزكاة والخمس، ويأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجاهدون في سبيل الله تحت راية " لا إله إلا الله، محمد رسول الله " ... وقد عرف عن الإباضيين حملهم لمشاعل النور الإسلامية ضد حكام الظلم والجور والفساد، الخارجين على روح الإسلام وجوهره" <sup>١</sup>، وعن أدلتهم الشرعية قال: " هي الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، الاستدلال، الاستحباب، الاستصحاب، ويتساوى الجميع لديهم العربي والعجمي، القريب والبعيد في الحقوق والواجبات" <sup>٢</sup>

وقال عن موقف الإباضية من المذهبية: " الإباضية رجال تقييد لا رجال تقليد، وهم يعتمدون على الحق لا على الخلق، فلا يتقيدون بمذهب أو بإمام معين، حيث اعتمدوا على الصحيح الصريح من الأوامر الشرعية واتبعوا سنة الخلفيتين أبي بكر وعمر " <sup>٣</sup>، وعن أسس الحكم لدى الإباضية قال: " أسس الحكم هي الأصول الشرعية التي يعتمدون عليها، وهي: الكتاب والسنة والإجماع، والقياس والاستدلال" <sup>٤</sup>، عن موقفهم من أهل القبلة قال: يعاملون حسب ما نص عليه كتاب الله وسنة رسول الله في الحرب، حيث لا أسرى منهم، ولا غنم من أموالهم ولا يجهزون على جريح، ولا يتبعون مدبراً، كما أنهم جوزوا مناكحة مخالفينهم في بقية مذاهب الإسلام وتوارثهم <sup>٥</sup>، وعن الإيمان عندهم قال: " هو قول وعمل واعتقاد، فالبقول تعصم الدماء والأموال، وبالفعل يصح الإيمان والعمل، وبالاعتقاد يتحقق الإيمان الصادق، وهو الذي يقول فيه الإباضية بأنه يزيد ولا ينقص، بل إذا انهدم بعضه انهدم كله للأدلة الصحيحة التي لا يرتاب فيها أحد، أما الإيمان العملي فهو الذي يزيد وينقص كما هو معلوم" <sup>٦</sup>

٢٥- يقول الدكتور أحمد إلياس حسين عن دور الإباضية في نشر الإسلام في مملكة مالي في: " وكان للتجار إلى جانب أعمالهم التجارية يقومون بالدعوة إلى الإسلام، وقد ارتبطت التجارة وانتشار الإسلام في غرب إفريقيا إلى الدرجة التي أصبح من العسير معها وضع حد فاصل بين الدور الذي قام به التجار من جهة وبين دور العلماء ودعاة الإسلام من جهة أخرى، وغالباً يجتمع الدوران في نفس الرجل، ويتضح ذلك من تتبع سير الإباضية الذين كانوا يمارسون التجارة على نطاق واسع في غرب إفريقيا منذ القرن الثامن الميلادي، فقد أدى استقرار الإباضية على أطراف الصحراء في واحات فزان وجبل نفوسة وغدامس وواحات الجزائر منذ القرن الثامن الميلادي إلى ارتباطهم القوي بتجارة الصحراء، وعزز

<sup>١</sup> الإسلام والمسلمون، مرجع سابق، ص ١٧٥.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ١٧٩.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ص ١٨٠.

<sup>٤</sup> المرجع السابق، ص ١٨١.

<sup>٥</sup> المرجع السابق، ص ١٨٢.

<sup>٦</sup> المرجع السابق، ص ١٨٢.

من ذلك الارتباط اعتناق مجموعات من قبيلتي هواره وزناتة للمذهب الإباضي وتخصص كثير منهم بالتجارة عبر الصحراء.

وسرعان ما انتظمت تجارة الإباضية في وزيلة تحت امارة بني الخطاب منذ تأسيسها عام ٧٦٢م، وتوسعت تجارة الصحراء بقيام الدولة الرستمية الإباضية في تيهرت (بالجزائر) عام ٧٧٦م، فقد أشرفت هذه الدولة على المنطقة الصحراوية ما بين سجلماسة (جنوب المغرب الأقصى) وزويلة التي دخلت ضمن دائرة نفوذها، واهتم الرستميون بالتجارة وطرقها فحفروا الآبار للقوافل في المناطق الداخلية في الصحراء وأرسلوا الجنود بصحبة التجارة لتأمينهم من الأماكن التي يخشى فيها من غارات البدو.

ولم ينحصر جهود الإباضية فينشر الاسلام على نشاط التجارة فقط، بل كانت لهم برامج مخططة لأهل الدعوة تضمنها نظام العزابة، أهل الدعوة مجموعة من رجال العلم اتجهت جهودهم لإعلاء كلمة الله وبث تعاليم دينه وتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم، وقد تركز جانب كبير من اهتمام أهل الدعوة على غرب أفريقيا التي كانت تعتبر "دار الدعوة" فأنشؤوا الربط منذ مستهل القرن الثامن عشر الميلادي في المنطقة الصحراوية الواقعة بين ورجلان وسجلماسة.

ويتضح من النصوص التي جمعها (Lewicki) نشاط أهل الدعوة الواسع جنوبي الصحراء الكبرى، واقترن ذكر الكثير من فقهاء الإباضية بغرب أفريقيا في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، والفقهاء الذين وردت أخبار زيارتهم الى غرب أفريقيا يعتبرون من كبار الاساتذة في عصورهم، وقد وردت اخبار زياراتهم الى تلك المناطق عرضا اثناء تناول بعض اخبارهم مما يرجح احتمال ترددهم الدائم على جنوبي الصحراء ولم تسجله لنا كتب السير، واذا كان كبار الفقهاء قد ترددوا على غرب أفريقيا فهذا يعني ان هنالك مجموعات كبيرة من اهل الدعوة كانوا يقومون بنفس العمل ولم تهتم كتب السير بأخبارهم.

ولذلك فقد تمكن الإباضية من تجار وفقهاء من تقوية اتصالاتهم بغرب أفريقيا منذ القرن الثامن الميلادي، ولعل كثيرا من تلك المناطق قد اعتنقت الاسلام على يد الإباضية منذ ذلك الوقت فقد ذكر الشماخي ان بلاد السودان بغانة وما يليها كانت تدين بالمذهب الإباضي حتى تسامعت بهم المخالفون فقصدوها من كل أوب فردوهم الى مذهبهم.

ويفهم من هذه الاشارة ان الإباضية هم اول من قام بتركيز الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا قبل وصول الاعداد الكبيرة من فقهاء المذاهب الاخرى، ومن المعروف ان المذهب المالكي- الذي ساد في غرب أفريقيا- قد ارتبطت سيادته بحركة المرابطين في الصحراء الغربية في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، ويبدو أن انتشاره الواسع كان على حساب المذهب الإباضي الذي ساد في المنطقة منذ القرن الثامن الميلادي، وقد

ظلت بقايا الإباضية حية في امبراطورية مالي حتى القرن الرابع عشر الميلادي حيث لاحظ ذلك ابن بطوطة<sup>١</sup>، وقال أيضا: " أنا أميل إلى افتراض أن المسلماني<sup>٢</sup> الذي ذكره البكري أسلم على يد أحد فقهاء الإباضية، وهناك الكثير من فقهاء الإباضية يحملون اسم "ابن يخلف" من بينهم أبو نوح سعيد ابن يخلف من علماء النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، وقد اشتهر ابن يخلف هذا أيضا بأسفاره الى غرب افريقيا، وربما تكون الرواية في الأصل لابن يخلف هذا خاصة وأنه عاش زمنا يتوافق مع أحداث رواية البكري"<sup>٣</sup>.

وجاء في خلاصة قوله: "ولذلك يمكن القول بأن التراث الإباضي تضمن الكثير من الروايات التي حملت أخبار رحلات الفقهاء الى غرب افريقيا، وقد اتصل بعضهم بالملوك بتلك المناطق، وكان لهم فضل إدخالهم في الاسلام، وقد سجلت كتب الطبقات والسير تلك الروايات التي ترددت في المجتمع الإباضي وأسندتها الى اصحابها الحقيقيين في بعض المرات والى كبار الفقهاء الذين اشتهروا بزياراتهم لغرب افريقيا مرات اخرى.

ومن امثلة ذلك ايضا ما ذكره المارغني السوفي والشمخي في رواية اخرى تضمنت سفر الشيخ أبي يحيى ابن القاسم الفرستائي الى (السودان) وإسلام ملكهم على يده، والفرستائي كما ذكر الشمخي من ضحايا "معركة مانو" التي حدثت بين أسرة الأغالبة التي حكمت في تونس وبين اباضية جبل نفوسة عام ٨٩٧م.

فيكون سفر أبي يحيى الى السودان قد تم في النصف الاول من القرن العاشر الميلادي، وهذا التاريخ ايضا يمكن ان يوافق رواية البكري، فمضمون الرواية التي ذكرها البكري في القرن الحادي عشر الميلادي تجد ما يؤيدها في التراث الإباضي ومما يرجع باحتمالات كبيرة جدا ان الفقيه الذي تمت على يد اباضيا، كان عائشا في القرن الميلاد او لربما قبل ذلك"<sup>٤</sup>.

٢٦- قال يوسف بدوي عند التعريف بالإباضية: "ان الإباضية امة من أمم الإسلام، إمامها: عبد الله بن إباح التميمي، وهو ولي من أولياء الله، لا يهاب الجبابة، ولا يحابي الظلمة، ولا يداهن في الدين، ولا يميل الى الاهواء والبدع، وهذه لهجة اهل الحق في الاسلام، وسيرة الاتقياء الأعلام"<sup>٥</sup>، وقال عن اعتماد الإباضية على الحق: "الإباضية رجال تقييد لا تقليد، وأهل اعتماد على الحق لا على الخلق، وهم لا يتقيدون إلا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويطلق عليهم : جماعة المسلمين: أهل الاستقامة، وأصحبت هذه الدعوة فيما بعد عقيدة، تجمع حولها العمانيون في كفاحهم من أجل

<sup>١</sup> دور فقهاء الإباضية في اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي، أحمد الياس حسين، مكتبة الضامري، السيب-سلطنة عمان ص١٦-١٨

<sup>٢</sup> حاكم مملكة مالي الذي دخل في الاسلام على يد الفقيه الإباضي.

<sup>٣</sup> دور فقهاء الإباضية في اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي، مرجع سابق، ص٢٥.

<sup>٤</sup> دور فقهاء الإباضية في اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي، مرجع سابق، ص٢٨.

<sup>٥</sup> تاريخ عمان بين القديم والحديث، يوسف بدوي، مكتبة الصفاء أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص١٥٨.

الاستقلال" <sup>١</sup>، وقال عن أسس الحكم عند الإباضية : " الكتاب، والسنة ، والإجماع، وعلى هذه الثلاث المعتمد، فحلالها حلال ، وحرامها حرام، ولا هواة في ذلك، ولا اختيار لأحد بعد ما جاء في هذه الأصول الثلاث <sup>٢</sup>.

وقال عن جهود الإباضية : " خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، أثمرت جهود مشايخ الإباضية وحملة العلم – وبفضل التنظيمات السرية الدقيقة – في تأسيس دول إباضية مستقلة في الجزيرة العربية، وبلاد المغرب العربي، وكان لها دور هام ، ومجيد في التاريخ الإسلامي.

وفي ظل هذه الدول قام الإباضيون بجهود مشكورة في نشر الإسلام في أماكن كثيرة، وكان لهم فضل كبير في هذا الشأن في كل من إفريقية الشرقية، وإفريقية السودان جنوب الصحراء وبعض مناطق الشرق الأقصى.

كما قام الإباضيون، وجلهم من قبيلة الأزد العمانية التي سكن أفواج منها في حي خاص بالبصرة، يدعى – حي الأزد- قاموا بجهود كبيرة في سبيل إثراء المكتبة الإسلامية، ومن خلال هذه المؤلفات تبرز أمور ما زالت موضع نقاش وجدل بين الباحثين والمفكرين، إذ يتضح منها أن الإباضيين ليسوا خوارج سوى (إنكار التحكيم) وأن الإباضية حرّموا قتل الموحدين أو استحلال دمائهم، وحرّموا استعراض الناس وامتحانهم، كما فعل متطرفو الخوارج، مثل الأزارقة، والنجدية، وأن الإباضيين ينظرون إلى الدين نظرة واحدة متكاملة، لا فصل فيها بين المظاهر الروحية، والمادية، وتبعاً لذلك قد أنكروا التصوف ورفضوه.

وأخيراً – ليس آخرأ – فإن المدقق في المصادر الفقهية الإباضية يجد أن أصحاب المذهب الإباضي، هم أكثر المسلمين اتباعاً للسنّة الشريفة، والافتداء بها، وأما ما تلصقه بهم بعض المصادر من تهمة فإنما هو ناتج عن أحد أمرين الجهل أو التعصب" <sup>٣</sup>

٢٧- قال إبراهيم عبدالعزيز بدوي عن نشأة المدرسة الإباضية : " المدرسة الإباضية نشأت كما نشأ غيرها من المدارس الإسلامية بأئمتها وعلمائها، طبقات يأخذ بعضها عن بعض إلى اليوم، والطريقة التي قامت عليها لا تختلف كثيراً عن بقية الطرق التي قامت عليها المدارس الإسلامية الأخرى، والمدرسة الإباضية من حيث نشأتها وتطورها وحركتها يظهر أنها من أحرص الناس على التقيد بما أتت به الشريعة من أحكام المسلمين، وهم يعتقدون أن كل من نطق بالشهادتين فهو مسلم، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، فلا يستحلون دماء أحد من أهل القبلة إلا بالحق الذي حددته الشريعة الإسلامية.

<sup>١</sup> تاريخ عمان بين القديم والحديث، يوسف بدوي ، ص ١٥٩.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ١٥٩.

<sup>٣</sup> تاريخ عمان بين القديم والحديث، يوسف بدوي ، ص ١٥٩.

وللمذهب الإباضي أثر كبير في البحث والتدوين في شتى المجالات العلمية، وما يصادف الحياة من مشكلات يومية، فدونوا الأحاديث وشرحوها، واستنبطوا الأحكام وطبقوها، وتعرضوا للعقائد ونزعوها، ودونت لهم مؤلفات شتى في الحديث والفقه والعقائد والتاريخ وغيرها، من صنوف العلم وآدابه، حيث أصبح لهم مكان فسيح في الدراسة للمنهج الذي ساروا عليه".<sup>١</sup>

وقال عند بيان الاتجاه العلمي للإباضية: "ولبيان بعض الاتجاهات العلمية للمدرسة الإباضية، أضع عدة نقاط تحدد مكانة الإباضية في الفقه الإسلامي، منها:

١. يرى الإباضية أن المصدر الأول للشريعة الإسلامية في عقائدها وعباداتها ومعاملاتها وأخلاقها وتنظيمها هو الكتاب والكرام، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن من أنكر منهم حكماً أو حرفاً أو آية أو سورة فهو مشرك أو مرتد.

٢. ينص الإباضية على أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني، وهي درجات، المتواتر منها قطعي الدلالة يفيد العلم ويوجب العمل، ومنكره كالمنكر للقرآن، والمشهور من السنة أقل درجة من المتواتر وأقوى من الآحاد، وهو يوجب العمل به ولكنهم اختلفوا في حجية المشهور هل هي قطعية أو ظنية على قولين، والآحادي من السنة ظني الدلالة والعمل به واجب، والمرسل أضعف من الآحادي إلا أنه يوجب العمل أيضاً بشرط إذا كان لصحابي أو تابعي.

٣. يرى الإباضية أن الإجماع هو المصدر الثالث إذا استوفى الشروط التي ذكرها علماء الأصول وحجيته قطعية، ومنكره فاسق، ويأخذون الإجماع بقسميه القولي والسكوتي، وأنه جائز الوقوع في كل عصر من العصور.

٤. ويرون أن المصدر الخامس هو الاستنباط بجميع طرقه، ويهتمون بالمصالح اهتماماً خاصاً، فالفقه عند الإباضية قائم على الكتاب والسنة والإجماع، ثم القياس، والاستدلال والاستحسان، والاستصحاب والإلهام".<sup>٢</sup>، ومن حيث احتياط الإباضية لإقرار الحقائق الشرعية، يقول عبدالعزيز إبراهيم: "أجد أن الإباضية كغيرهم من أهل السنة يحتاطون لإقرار الحقائق الشرعية، معتمدين في كل ما استندوا إليه بالبناء على النصوص، فإذا تعارضت مصلحة مع النص فهي عندهم من قبيل الأهواء النفسية والانحرافات الفكرية، وكانوا على من ادعاها أشد نفوراً وإنكاراً، وأقوى غلظة

<sup>١</sup> دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية، إبراهيم عبدالعزيز بدوي، مطبوع ضمن " ندوة الفقه الإسلامي المنعقدة بجامعة السلطاني قابوس في الفترة من ٢٢ - ٢٦ شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق ٩ - ١٣ إبريل ١٩٨٨ م ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ص ٧٢٢.

<sup>٢</sup> دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٧٢٢.

وإحكاماً، لذا شددوا الأمر في بيان الاجتهاد والمجتهد اطمئناناً على ثبات الأحكام الشرعية<sup>١</sup>

ويقول عن المذهب الإباضي: " هذا المذهب ليس مستحدثاً وإنما نشأ متأصلاً على القواعد الصحيحة مدعماً بالأصول الثابتة، فبالنظر والتتبع لا يوجد في فقهه ما يخالف الكتاب ولا السنة النبوية ولا عموم الأصول التي يوافق عليها المسلمون جميعاً، فالأصول ثابتة وراسخة لا خلاف فيها، أما ما كان من خلاف في بعض المسائل الفرعية فإنما يرجع إلى فهم النصوص من الكتاب والسنة، واستخراج الأحكام الشرعية العملية منها، وهذا يؤثر على نشأة الاجتهاد في شيء ولا على علم المجتهد، لأن الخلاف في فرع من فروع مسألة ما ، من الزاوية التي تنظر منها إلى حكمة يعلمها الله، وهي الرحمة بعباده، لأنه سبحانه هو الذي أراد لدينه الخاتم التوسعة والرحمة بعباده، فلو كان غير ذلك لبين المجل، وفصل العام وحدد كل شيء في نصوص لا تحتل التأويل أو الخلاف، وعلى هذا فالاختلاف بين المدارس الإسلامية المعتدلة في الفقه الإسلامي، خلاف فرعي لا يؤدي إلى التزمّت والتعصب الذي تزعمه نسب ضئيلة غير متعمقة من اتباع هذه المدارس الفقهية"<sup>٢</sup>

٢٨- يقول **عمر فوزي** عن منعطف الإباضية التاريخي: " لقد مثلت الإباضية منعطفاً مهماً في تاريخ المحكمة الأولى، وذلك لاعتدال ومرونة آرائها واتصاف مواقفها السياسية بالواقعية مما أبعداها عن المثالية والتشدد والحماس الذي اتصفت به حركات خارجية أخرى، كما وأن تنظيمها السري الدقيق جعل حركاتها ضد أعدائها حركات مخطط لها تكون إمكانيات نجاحها أكبر، كما أثبتت ذلك الوقائع التاريخية، ثم أن معارضتها للحكم القائم كان ضمن مفاهيم ومبادئ داخل إطار الإسلام وقيم العروبة، وهي بذلك تختلف عن العديد من الحركات التي تسترت باسم الإسلام، وأخفت عقائد بعيدة عن روحه، وعن تراث المجتمع العربي الإسلامي، ومع ذلك كله فقد كان للظروف الإقليمية والقبلية والسياسية دورها في انتشار الدعوة الإباضية في عمان وغيرها من الأقاليم الإسلامية"<sup>٣</sup>

٢٩- يقول **أحمد فراج حسين** عن الخوارج وقد فرقهم الى طوائف متشدة ومعتدلة ، واعتبر المذهب الإباضي من الطوائف المعتدلة ، وقال : " ومن الطوائف المعتدلة المذهب الإباضي ، وهو المذهب الباقي من مذاهب الخوارج وينسب هذا المذهب الى عبد الله بن إباح الذي توفي في عهد الأمويين في خلافة عبدالملك بن مروان سنة ٨٠ هـ .

<sup>١</sup> المرجع السابق، ص ٧٣٠.

<sup>٢</sup> دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٧٣٣.

<sup>٣</sup> الوجيز في تاريخ عمان السياسي، فاروق عمر فوزي، دار مجدلاوي، عمان - الأردن ، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٦٥، الوسيط تاريخ الخليج في العصر الإسلامي الوسيط، فاروق عمر فوزي، دار الشروق ، عمان الأردن، ط ١ ٢٠٠٠ م ص ٦٤.

٢٦- تاريخ الفقه الإسلامي، أحمد فراج حسين، الدار الجامعية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٨٨ م، ص ٢١٥

٢٧- تاريخ الفقه الإسلامي، محمد عبداللطيف صالح فرفور، دار الكلم الطيب، ودار ابن كثير، دمشق- سوريا، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ص ١١٧.

وفقه هذا المذهب معتدل في جملته ، ويتفق في معظمه مع فقه الجمهور من أهل السنة ، ومن صور الاعتدال فيه : أنه لا يمنع أن يتزوج أتباعه من بقية المسلمين ولا يمنع التوارث بينهم وبين غيرهم ، ولا يجوز قتال عدوهم إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة ، وإعلان القتال ، بينما غيرهم من غلاة الخوارج يحرمون التزوج من غيرهم ، وأكل ذبائحهم ، ويمنعون التوارث بينهم وبين من عاداهم ، ويجيزون القتال من غير دعوة ولا إعلان ويكفرون مرتكب الكبيرة ، وغايته أن الإباضية يخالفون جمهور أهل السنة في عدة مسائل قليلة ، منها : إجازتهم الوصية للوارث ، وقولهم بالوصية الواجبة ، ولقد أخذ قانون الوصية المصرية رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٦م بهاتين المسألتين " (٢٦) .

٣٠- قال محمد عبداللطيف صالح الفرفور عن الإباضية : "هم أتباع عبد الله بن إياض، وهو أكثر الخوارج اعتدالاً، وأقربهم الى الجماعة الإسلامية تفكراً ، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو ، ولذلك بقوا، ولهم فقه جيد مدون ، ولهم جهود في تحرير مذهبهم ، وفيهم علماء ممتازون ، ويقيم طوائف منهم في بعض واحات الصحراء الغربية ، وبعض آخر في بلاد الزنجبار ، ولهم وجود ممتاز في عمان ، ولهم آراء فقهية معتبرة ، وجملة آراء الإباضية :

أ- أن مخالفيهم من المسلمين ، ليسوا بمشركين ، ولا مؤمنين ، وهم مقصرون في جنب الله عز وجل فقط ، ستروا نعمته عليهم ، فهم كفار نعمة ، على المعنى اللغوي للكفر ، وهو الستر ، لا كفار في الاعتقاد.

ب- دماء مخالفيهم حرام ، ودارهم دار توحيد وإسلام ، ولكنهم لا يعلنون ذلك ، بل يسرون في أنفسهم أن دار المخالفين ودماءهم حرام .

ج- لا يحل من غنائم المسلمين الذين يحاربون إلا الخيل والسلاح ، وكل ما فيه من قوة في الحروب ، ويردون الذهب والفضة.

د- تجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم ، والتوارث بينهم وبين الخوارج ثابت ، ومن هذا كله يتبين اعتدالهم وإنصافهم ، ومن أحسن كتبهم الفروعية كتاب " شرح النيل وشفاء العليل" لمحمد أطفيش ط المطبعة العمومية " (٢٧) .

سلطنة عمان

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

معهد العلوم الشرعية

## مواقف منصفة لأهل الحق والاستقامة

أربعون (٤٠) عالماً وباحثاً سطوروا كلمات صريحة عبروا بها عن ثنائهم الصادق للمذهب  
الإباضي

(( الحلقة الرابعة ))

٣١ - ٤٠

إعداد

الطالب/ يحيى بن أحمد بن علي بني عرابة

السنة الرابعة / فقه ودعوة

العام الجامعي: ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

٣١- قال الدكتور عبد الرحمن جعفر بن عقيل عن الإباضية ودورهم في الحضارة الإسلامية : " لقد ظلت الإباضية باستمرار تثري بأطروحتها الثقافية الإسلامية ، وتغني الحضارة الإسلامية بكثير من الآراء ، إذا نظرنا الى الناحية الإيجابية ، مقابل التمزق الذي أصاب جسد الأمة ، وكذلك وقفت في وجه المد الباطني الذي كاد يهدد أطراف الجزيرة في جانبها الشرقي الجنوبي ، وهكذا نستطيع أن نقول إن إباضية عمان وحضرموت استطاعوا أن ينشئوا في مناطقهم حضارة إسلامية ذات صبغة إباضية لتسهم في الفكر الإسلامي بعيداً عن الغلو الذي مارسه الجانب المتطرف الذي لا يخلو منه فكر عادة حين ينأى عن الوسط فيكون مذموماً عند أرباب هذا الفكر فضلاً عن مخالفه" <sup>١</sup> ، وقال أيضاً موضعاً الحاجة للبحث في التاريخ العقدي والسياسي للإباضية : " ما أحوجنا اليوم للبحث في التاريخ العقدي والسياسي للإباضية ، متجربين من رواسب النزاعات والعصبيات أو الانجرار وراء التهم والأوصاف التي أطلقها بعض المؤرخين بأن أتباع الإباضية أهل بدع وأهواء وضلال ، ونعتهم بالمروق والغلو والتعصب ، دون مراعاة لمبدأ دعوتهم وإعطائهم فرصة لتفهمنا آرائهم حسبما جاءت في مؤلفاتهم ، ووضع حد لمهاجمة أتباع المذاهب والفرق الأخرى على أساس تهم لا أساس لها في أرض الواقع بل مصدرها الوحيد هو الكراهية والحق على المذاهب الأخرى ، وصلت إلينا في كتب ومقالات تم تأليف بعضها قبل اثني عشر قرناً أدت الى حالة من سوء الظن بين المسلمين ، تفاقمت نتائجها على مر الزمان واتخذت أشكالاً مختلفة من الصراع بين تيارات المذاهب والفرق المختلفة ، ونشوب خلافات بين المسلمين تطورت في بعض الأحيان الى حد الصراع العسكري والتهديد باللجوء الى أساليب التصفية والاعتقالات .

إن في تاريخ الإباضية ما يشير الى نواياهم الطيبة في التعايش السلمي مع مخالفهم ، في عهد الدولة الرستمية التجأت طوائف كثيرة من الشيعة الى الدولة الرستمية ، ففتحت لهم هذه الأخيرة ذراعها ، ورحبت بهم وأكرمتهم ، وعرفت لهم مقامهم الرفيع ومقام جدهم علي بن أبي طالب، وقد وجد العلويون ، وهم أبناء محمد بن سليمان العلوي أخو إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية ، وجد هؤلاء في الدولة الرستمية كما يقول محمد علي دبور من الإجلال والتعظيم ما جعلهم سادة في المدن التي نزلوا فيها ، وفي عهد الدور الإباضي في حضرموت التجأت السادة العلويون الى حضرموت ، وكان جد العلويين الحضارم الإمام المهاجر أحمد بن عيسى كما تقول بعض المصادر العلوية الحضرمية يتبنى فكراً شيعياً إمامياً ، إلا إن حضرموت بأهلها رحبت بهم وأكرمتهم وبوأت لهم مكانة مرموقة جعلتهم أعلى السلم الاجتماعي لصلة النسب الشريف الذي يربطهم بالرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، ويشهد التاريخ الحديث كيف تعايش أهل السنة والجماعة مع الإباضية في سلطنة عمان ، وليس غريباً عن الإباضية أن يعاملوا مخالفهم بهذا التعامل الأخوي ما دامت تعاليمهم تحت على التقارب وجمع الشمل" <sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضر موت، عبدالرحمن جعفر بن عقيل، دار حضر موت، المكلا - الجمهورية اليمنية، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م ، ص ٧.

<sup>٢</sup> صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضر موت، مرجع سابق، ص ٧.

وقال عن مبادئ الحكم عند الإباضية بعد ظهور الصراع بين الشيعة والسنية: "ونتيجة للصراع السياسي بين الشيعة والموالين لأهل البيت من جهة وبين الفرق الموالية لحكم الأمويين من جهة أخرى ، ظهر حزب آخر تزعمه عبد الله بن وهب الراسبي (المحكمة) ويعتمد هذا الحزب في موضوع الحكم على المبادئ الآتية: البيعة والشورى والعدالة - دون اعتبار الجنس ، فإن استوفى الإمام هذه المقاييس والتزم بها وجبت طاعته ، ولا يجوز الخروج عليه ، أما إذا انحرف كان أمر الخروج عليه بيد أهل الحل والعقد وهو جائز وليس واجباً ، ومن هذا التكتل ظهرت فيما بعد الإباضية.

في ضوء ما تقدم نحاول في هذه الدراسة أن نلقي ضوءاً على التجربة الفكرية السياسية الإباضية عبر تاريخ هذه الحركة الإسلامية ، التي كانت ولا زالت لها آراؤها الفكرية في موضوع الحكم وجاءت ضمن مجال حيوي زمني (تاريخي) ومكاني (جغرافي) سعت في فقهاها الى أدلة وأصول تحتوي في طياتها ما لا يتعارض مع اقامة المجتمع المدني في الإسلام.

حاولت التجربة الإباضية أن تبقي العلاقة بين الدين والدولة قائمة على أسس تضمن التوفيق بين الجانبين لتحقيق المصالح الدنيوية في حدود الشرع ، وترسيخ مكانة هذه الحركة الإسلامية في اللوحة السياسية والثقافية في المجتمع الإسلامي التي تبلورت أفكارها بعد أن تثبتت دعائم الحكم في بني أمية (سفيانيين ومروانيين ) وصاغ فقهاء الحكام الغطاء الشرعي المطلوب للحكم ، وتم توظيف الأحاديث النبوية الصحيحة ووضع ما يلزم منها لتكريس الاستبداد وخدمته "(١).<sup>١</sup>

وقال عن أصل التسمية عند الإباضية: "الإباضية أو الأباضية هي إحدى أقدم المذاهب الإسلامية ، عرفت بالفرقة المعتدلة التي رفضت آراء نافع ابن الأزرق المتطرفة ، وآثرت القعود على قتال المسلمين ، ولقد أخذت هذه المدرسة نسبتها الى عبد الله بن إياض المري التميمي ، ونسبة الإباضية الى إياض - بضم الهمزة- وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجدة بن عامر ، ويطلق عليها أباضية - بالفتح - في شمال أفريقيا ، وإباضية - بالكسر- في عمان وزنجبار.

ظهر عبد الله بن إياض رمزاً قيادياً رافضاً لشعار الحرب والقتال الذي تبناه نافع ابن الأزرق ، وقياديون آخرون من الخوارج، ولم يفلح زعماء الخوارج في استدراج عبد الله بن إياض للخروج معهم فامتنع وأخبرهم أنه لا يخرج على قوم يرتفع الأذان من صوامعهم والقرآن من مساجدهم ، وبموقفه هذا جسد حقيقة بداية ظهور الإباضية ، وأصبح الرمز القيادي المتكلم باسم هذه الفرقة ، وساهم بتأسيس هذا المذهب"<sup>٢</sup>.

وقال عبدالرحمن جعفر عن أصول العقيدة عند الإباضية: "استندت أفكار العقيدة عند الإباضية على التراث الفكري الإسلامي ، إذ لا يختلف اثنان من مخالفيهم في أن الإباضية هي

<sup>١</sup>صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضر موت، مرجع سابق، ص ١٠٦.

<sup>٢</sup>صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضر موت، ص ١٢٦.

فرقة من فرق الخوارج المعتدلة ، لا تحيد عن أصول الشريعة الإسلامية والكتاب والسنة، والفرق الإسلامية لا تدخل تحت الحصر ، والمتقدمون الذين كتبوا عن الفرق خاصة منهم من أهل السنة أرادوا أن يحصروها استناداً الى حديث يروى عن أبي هريرة ، ومفاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"<sup>١</sup>. وقال عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإباضية : " والقارئ في سير الإباضية يلحظ بجلاء كيف تأتي الوصايا بإقامة هذه الشعيرة في مقدمة ما يتواصلون بها ، لارتباطها بأصل الولاية والبراءة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وسائل الدعوة عند الإباضية ، ويكاد يكون متداخلاً في تكوينهم الروحي ، إذ يعتمدون على إرساء التربية العملية والاجتماعية بقراءة القرآن وكثرة الصلاة والمداومة على إقامتها ، وهذه وسائل مهمة لتزكية النفس والسمو بها ، لا هدف لها سوى تبليغ دعوة الله ونشر رسالة الإسلام ، للأفراد وتهئية الفرد وتأهيله لنفسه ، ليصلح للقيادة والاقْتداء ، وإذا وضع المسلم المقياس الصالح لنفسه ، فإن باستطاعته أن يتولى مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويصبح المجتمع كله صالحاً يرتقي فيه المعروف الى الأعلى ويذل فيه المنكر، ويغدو كل فرد غير محتاج إلى رقيب أو حسيب، لأن له رقيباً وحسيباً من نفسه، وإذا سار كل فرد على الصراط المستقيم استقام المجتمع كله، وعلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبني الإباضية حكمهم على وجوب الإمامة، لأن المسلمين لا تستقيم أمورهم إلا بتعيين سلطان يتولى أمرهم وينفذ حكم الله بالعدل بين الناس"<sup>٢</sup>

ويجيب عقيل على سؤال: هل يصنف المذهب الإباضي على أنه فرقة عقدية أو حركة سياسية أو أنه حركة فكرية إسلامية أو مدرسة أصولية فقهية؟، فقال : " في الواقع أن الإباضية ليست فرقة بالمعنى الضيق للكلمة، بل هي مدرسة فكرية تستند إلى مصادر التشريع الإسلامي المعروفة عند المسلمين كافة"<sup>٣</sup> ، وأما عن نظام الإمامة عند الإباضية قال : " حين أطلق الإباضية لفظ الإمام دون غيره من الألقاب، فإنهم يقصدون من الإمامة الاقتداء، كإقتداء المأموم بصلاة فضلاً عما ورد في ذلك من نصوص كقوله تعالى : (( واجعلنا للمتقين إماماً )) الفرقان / ٧٤ وقوله تعالى: (( إني جاعلك للناس إماماً )) البقرة / ١٢٤ ) فمفهوم الإمامة والخلافة والرئاسة عند الإباضية هو : رئاسة عامة الناس في أمور الدين والدنيا لشخص هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الأمة .. ولم يكن مبدأ الإمامة بالنسبة للإباضية حبراً على ورق، أو دعوة من فوق المنابر، وإنما تجسيد جاء على أرض الواقع في حق الأمة بعزل الإمام الجائر والفساد أو العاجز عن تحمل مسؤولية، والإباضية مثلها مثل غيرها من الفرق الإسلامية تولي أهمية كبيرة لمسألة الإمامة وشروطها وتعيينها ومهامها وعزلها ، وكانت هذه المسألة على درجة كبيرة من التنوع

<sup>١</sup> صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضر موت، ص ١٥٨.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ١٧٢.

<sup>٣</sup> صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضر موت، ص ١٨٤.

والتعقد ، وتأتي ضمن مقاييس أخلاقية مرتبطة بتعاليم الدين الروحية ، وهي تقوم على نظرية سياسية مبدؤها الديمقراطية الإسلامية (الشورى) كمنهج عام للاتجاه السياسي ، وقد طبقوا هذه الديمقراطية على أنفسهم ، فكانوا يختارون لخلافتهم أئقاهم وأشجعهم ، وأكفاهم ، وإذا أحسوا أنهم أساءوا الاختيار سحبوا الثقة من الخليفة ، وعزلوه واختاروا آخر بديلاً عنه.

كانت مسألة الإمامة والخلافة القضية المحورية ضمن مفهوم الخروج السياسي للإباضية ، ولكنها لم تكن هدفاً يسعون الى تحقيقه أو غاية ومطلباً يتذرعون الذرائع ويختلقون السبل للوصول إليها ، وإنما هي من أجل برنامج يهدف في سياسته الداخلية الى الإصلاح الديني والاجتماعي عملاً بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتجسيدا لأصول العقيدة الإسلامية ، والى مبدأ المساواة في توزيع الثروة ، وكما تهدف من سياستها الخارجية الى حماية العقيدة والأمة من كل الاعتداء ونقل دعوة الاسلام بالتي هي أحسن الى الأمم الأخرى، وهذا لا يتم إلا وفق منهج تنظيمي يقوم أساساً على مفهوم العمل الجماعي ( الجماعية) أي أن للجماعة الوزن الحقيقي في شؤون المجتمع سلماً أو حرباً غلبة وظهوراً، سرية أو كتماناً، ويأتي ضمن فهم عميق للشريعة الإسلامية الحاضرة على الشورى القائمة على التعاون والتضامن، لكل ما من شأنه تقوية المجتمع الإسلامي الذي ينبذ السلوك الأناني وحب الذات، ويؤصل روح الأخوة الجماعية في الإسلام.

تلك هي المبادئ والأفكار الأساسية التي تطبع النظام السياسي الإباضي بالفرادة والتميز، أسهمت في مد الفكر الإسلامي بروافد فكرية غنية ومهمة، نحو مواجهة تحديات النظم السياسية الحديثة، وهذه الأصول السياسية تأتي من اتجاه فكري إسلامي خالص لم يتأثر بالاتجاهات الفكرية والفلسفية المختلفة عدا الاتجاه الإسلامي، وأن الإباضية لم يستمدوا عقيدتهم من فلسفة اليونان وغيرها من أساطير الأولين كما يحلو زعم ذلك للذين يهرفون بما لا يعرفون، وإنما استمدوه من أصفى ينابيع الحق، وأنوار أشعة الحقيقة" <sup>١</sup>.

٣٢- قال محمد قرقرش عن أبي بلال مرداس بن حدير التميمي: " اعتبر أبو بلال زعيم الجماعة بعد النهروان المثل الأعلى لرفاقه، وكان يمثل بأفعاله وآرائه القدوة الحسنة لأتباعه، فقد كان سلوكه يدل على حسن سيرته، وكان شديد الإيمان بالله ورعاً كما كان يمثل الاتجاه المعتدل للمحكمة بعد أحداث النهروان" <sup>٢</sup>، وقال عن سلوكياته: " وكانت سلوكيات أبي بلال في الخروج مثلاً احتذته فرقة الإباضية فيما بعد، فقد أعلن أنه لا يسبي ذرية، ولا ينزل قوماً منزلة أهل الأوثان، ولا يغتتم أموالاً، ولا يخيف آمناً كما آمن أبو بلال بأخذ العطاء من السلطان الجائر، فعندما مر به مال حمل لعبيد الله بن زياد أخذ منه أعطياته وأعطيات أصحابه ورد الباقي، وقسمه

بين أصحابه، ومن سلوكياته أيضاً أنه كان يلقي الحجة في الحرب على المخالف المسلم، ولا يقاتل إلا من قاتله، أي الدعوة أولاً ثم الحرب ثانياً، وقد التزمت بها الإباضية، ونلاحظ ذلك في موقف أبي حمزة الشاري المختار بن عوف الأزدي قائد طالب الحق، إمام الإباضية في حضرموت واليمن سنة ١٣٠ هجرية / ٧٤٧م الذي توجه لفتح الحجاز، وبرزت سلوكياته ومبادئه في خطبته التي ألقاها في الحجاز، وفي مواقفه من أهل مكة والمدينة قبيل وأثناء وبعد معركة قديد سنة ١٣٠ هجرية / ٧٤٧م" <sup>١</sup>

ووصف الإباضية (التيار الثاني- القعدة المعتدلة) عند انقسام القعدة الى تيارين: "التيار الأول: وهو القعدة المتطرفة، فقد رأى نافع بن الأزرق أنه لا يجوز المقام بين ديار مخالفيهم من أهل القبلة، وأظهر البراءة منهم، وقام باستعراض الناس وإعلان البراءة من عثمان وعلي وطلحة والزبير، واستحلال الأمانة، وبدأ الرجل ينتهج خطأ ثورياً متطرفاً في سبيل الحفاظ على مبادئه والعمل على نشرها وتطبيقها، وقد اتضح ذلك بارتباطهم بهذه الأفكار والإخلاص لها في تاريخ كفاحهم الطويل، والتيار الثاني: وهم القعدة المعتدلة الذين لم يرتأوا الخروج، وقالوا: لا نقول فيمن خالفنا أنه مشرك، لأن معهم التوحيد والإقرار بكتاب الله ورسوله، وإنما هم كفار نعم، ومواريتهم ومناكحتهم والإقامة معهم حلال، دعوة الإسلام تجمعهم، وكان على رأس هذه الجماعة عبد الله بن أباض وعبد الله بن صفار، وإن كان قد وقع خلاف بين عبد الله بن أباض، وعبد الله بن صفار حول حكمهم على مخالفيهم، فقد أحل ابن صفار دماء مخالفيهم من أهل القبلة، فقال له ابن أباض: "برئ الله منك فقد قصرت، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلى، وبرئ الله منكما جميعاً، فقال الآخر: فبرئ الله منك ومنه" <sup>٢</sup>.

وقال عن الإمامة عند الإباضية: "ترتبط عمان حتى تاريخها المعاصر بين صفحات الكتب وأجهزة الإعلام، بمصطلح الإمامة أكثر من غيرها من الدول الإسلامية الأخرى، وهو مصطلح مرادف لكلمة الخلافة، وهي سمة تميز كفاح الشعب العماني عبر تاريخه الإسلامي الطويل، وكانت الإباضية في عمان تتلهم الى اليوم الذي تعلن فيه امامتهم، لأنها تعتبر أصلاً اجتماعياً عندهم، وهي فريضة بفرض الأمر والنهي والقيام بالعدل وأخذ الحقوق من غير مواضعها، ومجاهدة العدو، والدليل عليها من الكتاب والسنة والإجماع، وقد تحدثت أقلام الإباضية عبر تاريخها حول هذا الأمر من كافة نواحيه، حتى أصبحت هذه الأفكار أساساً لأحزاب سياسية معاصرة، من هنا أوجبت الإمامة في نظر الإباضية بوجود شروط ثلاثة: قوة أهل الدعوة، وكثرة عددهم عن أربعين، ووجود العلماء فيهم" <sup>٣</sup>.

٣٣- قال سالم فرج مفلح بعد أن تحدث عن عوامل وظروف نجاح ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي: "كل تلك الظروف والعوامل كانت مناسبة لنشر المذهب لما تحمله دعوته من

<sup>٢</sup> عمان والحركة الإباضية، ص ٨٢

<sup>٣</sup> عمان والحركة الإباضية، ص ٢٠٥.

مبادئ المساواة والعدالة ورفض الظلم والجور" <sup>١</sup>، وقال عن طالب الحق عندما دخل صنعاء : ... وبعد أن سيطر الإمام الكندي على الأوضاع، دخل جامع صنعاء وألقى فيهم خطبة دعاهم فيها إلى اتباع تعاليم الاسلام الاساسية، وقد صنف السكان الذين يتولى أمرهم إلى ثلاثة مجموعات، الأولى: قبلت المذهب الإباضي وانضمت إلى جيشه، وقد وعدّها بالمساواة الكاملة في الحقوق والواجبات، والثانية: قبلت المذهب، ولكنها لا ترغب في المشاركة في الثورة، وقد دعاها إلى نشر المذهب والدعاية له، والثالثة: رفضت قبول المذهب، ولكنها وقفت موقف المحايد، وقد وعدّها بحماية أرواحها وأموالها <sup>٢</sup> وتحدث عن ثورته السلمية فقال : " ولقد تم له ما أراد دون أن يريق في سبيله دماء، ولقد بويع بالخلافة وأحبه الناس والتفوا حوله وهابته القبائل وأكبروا همته، وسموه طالب الحق، قد كانت تلك الثورة سلمية في أساسها، وبتأييدها جماهيري وشعبي وصل إلى درجة الإجماع العام والشامل ... إن تلك الثورة ما كان لها أن تتحقق دون إراقه دماء، وما كان لها أن تمتد لتشمل مناطق خارج حضرموت، بل وتندفع نحو الحجاز في طريقها إلى دمشق لإسقاط النظام الأموي ما كان ذلك ليكون لو لم تكن مبادئ تلك الثورة محل قبول ورضى اجتماعي كبير، قبل قيامها وبعده، ويدل على ذلك التأييد الكبير الذي لقيه طالب الحق من الحضارمة، ثم تمسكهم بالعقيدة الإباضية بعد مقتله واستماتتهم في الدفاع عنها، رغم المحن التي قاسوها والحروب التي خاضوها، كل ذلك يدل على أن هذه العقيدة لها جذور في حضر موت وأنصار سارعوا في تأييد طالب الحق عقب إعلانها، لأن الأفكار والعقائد لا تنتشر وتتأصل بتلك السرعة، ما لم تجد لها جواً مهيأ وترربة خصبة تساعد على نموها وانتشارها" <sup>٣</sup>، ويعلل مفلح تسمية الإباضية بالشرارة : " لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا، فهم لا يسعون إلا إلى نعيم مقيم، ولهذا يعملون، ولقد وجدنا هذا الخطاب يسود أغلب قصائد الإمام أبي إسحاق الهمداني في القرن الخامس الهجري، وديوانه مثال الأدب الإباضي الحضرمي" <sup>٤</sup>.

ويقول عن اعتماد التراث الإباضي للكتاب والسنة " ... إن هذا التراث يعتمد بشكل مباشر على الكتاب والسنة، ونسبة النظر والفكر فيه محدودة ومحكومة بها، رغم تميز الإباضية بالثراء الفكري والاجتهاد، خاصة وأن الإباضية ينكرون أولوية العقل التي يقول بها المعتزلة، ولهذا فإن تراثهم لابد أن تكون مذهبته واضحة جلية" <sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> حضر موت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة/ العاشر والسابع عشر للميلاد، بين الإباضية والمعتزلة، سالم فرج مفلح، دار حضر موت، المكلا - الجمهورية اليمنية، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٣٥

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٣٦.

<sup>٣</sup> حضر موت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة، مرجع السابق، ص ٧٠-٧١.

<sup>٤</sup> المرجع السابق، ص ٢٩١.

<sup>٥</sup> المرجع السابق، ص ٤٢٧.

وقال عن أحوال الإباضية في حضرموت بعد أن ذكر أحوال المعتزلة فيها : " أما أحوال الإباضية فهي لا تفرق عن ذلك كثيراً ( أي : عن المعتزلة ) ، فقد كانوا أهل إخلاص في عقيدتهم ، ويروى أن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - لما بعثه الإمام علي بن أبي طالب إلى الخوارج يناقشهم ، قال رأيت منهم جباهاً قرحة من طول السجود ، وأيد كثفناً الإبل ، عليهم قمص مرخصة ، كما كانوا أهل تقوى وورع ، كما كانوا أهل زهد في الدنيا ، انصرفت نفوسهم عن الشهوات المادية وملذات الحياة ، واتجهت بكليتها إلى نعيم الآخرة ، كما اشتهر عنهم أنهم أهل شدة في الدين ، وكيف لا تتجه نفوسهم بكليتها إلى نعيم الآخرة ، وهم الشراة الذين اشتروا الآخرة بالدنيا.... والزهد الإباضي الحضرمي لا يفرق عن الزهد المعتزلي الحضرمي في شيء إن لم يكن نسخة طبق الأصل منه أو يزيد عليه ، فالزهد لديهما يقوم على أساس مشترك بينهما إلا وهو ( التقوى ) ، باعتبارها الطريقة المثلى للزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، ولن نجد موثقاً لمدرسة الزهد الإباضية الحضرمية أفضل مما سجله في ديوانه الإمام المجاهد أبو إسحاق الهمداني في القرن الخامس الهجري ، ومن المهم هنا القول أن ذلك الزهد إنما هو زهد مقاتل ومجاهد في سبيل الله ، يسعى إلى الدار الآخرة من خلال صليل السيوف ، فلقد ترتب عن سلوك ( الشراة ) الذين اشتروا الآخرة بالدنيا والزهد فيها ، أن رأوا أن ما سوى نعيم الآخرة لا يساوي جناح بعوضة ، وأن الجهاد في سبيل الله هو شرط الزهد في الدنيا والفوز بالآخرة<sup>١</sup> .

٣٤- يصف الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور المذهب الإباضي أنه معتدل بعد عرض لعلمائه وأهم مؤلفاتهم ، قال : " .... يتبين لنا أن المذهب مذهب إسلامي معتدل ، نشأ كما نشأ غيره من المذاهب الإسلامية بأئمته وشيوخه وعلمائه ، طبقات يأخذ بعضها عن بعض حتى عصرنا الحاضر ، وقد حدد الشيخ علي يحيى معمر الإباضي المصادر التي استند إليها الفقه الإباضي وحصرها في النقاط المذكورة أدناه ، ومن قراءتها يستطيع المرء أن يتبين موضع المذهب الإباضي بين المذاهب الإسلامية المختلفة.

١- يرى الإباضية أن المصدر الأساسي للدين الإسلامي في عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ، إنما هو القرآن الكريم ، وأن من أنكر شيئاً منه سورة أو آية أو حرفاً فهو مشرك أو مرتد.

ب- أن المصدر الثاني للدين الإسلامي السنة الصحيحة ، وهو على درجات:

- المتواتر منها قطعي الدلالة يفيد العلم ويوجب العمل ، ومنكره كالمنكر للقران.
- \*\* المشهور من السنة أو المستفيض ، وهو أضعف من المتواتر وأقوى من الأحادي ، وهو يوجب العمل.
- الأحادي من السنة ظني الدلالة يوجب العمل.

<sup>١</sup> حضر موت بين القرنين الرابع والحادي عشر الهجره ، مرجع السابق ، ص ٤٥٥ ، ٤٦٢ .

- المرسل وهو أضعف من الأحادي إلا أنه يوجب العمل إذا كان لصحابي أو تابعي.

ج- يرى الإباضية أن المصدر الثالث هو الإجماع إذا استوفى الشروط المعرفة والمعتمدة عند الأصوليين، وحجته قطعية.

د- أما المصدر الرابع، فهو القياس على الاسس المعروفة في كتب الأصول، وإذا تعارض الحديث والقياس رجح جانب الحديث ولو كان أحاديا أو مرسلا.

هـ- يرى الإباضية أن المصدر الخامس هو الاستدلال بأنواعه المختلفة، ويهتمون بالمصالح المرسلة اهتماما خاصا، وهم في هذا الشأن قريبون من رأي المالكية<sup>١</sup>

ويبيدي الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور إعجابه بالإمام عبد الله بن حميد السالمي أحد كبار علماء المذهب الإباضي المتأخرين، فقال: " ومن العلماء الإباضيين العمانيين المتأخرين الذين أسدوا خدمات جليلة للفكر الإسلامي ، نذكر العلامة الشيخ المحقق نور الدين أبا محمد عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي.

ويعتبر السالمي من أشهر المفكرين العمانيين في العصر الحديث، ولد في عمان وأصيب بالعمى، وهو في الثانية عشرة من عمره، واختطفته يد المنون، وهو ما يزال في عمر العطاء، إذ توفي في العقد الرابع من عمره ١٩١٤م، والسالمي مؤرخ محقق ولغوي بارع، وفقه لاعم عملاق، وعلى الرغم من فقد بصره وقصر عمره فإن الله قد منحه نفاذ البصيرة وطول الباع في العلم والتقوى والإخلاص، كان رحمه الله ذكيا نشيطا لا يخشى في الحق لومة لائم، وقد تصدى لمؤامرات المستعمرين على بلده عمان، وساهم في إفشالها، ولكن مساهماته الفذة تمكن فيما خلف لنا من مؤلفات جمة في مختلف العلوم الدينية واللغوية، وقد قام بشرح مسند الربيع بن حبيب شرحا وافيا مفصلا بأسلوب سهل سلس دون إسهاب ممل ولا إيجاز مغل، ويدل شرحه على تمسكه بالحق وبعده عن التعصب<sup>٢</sup>.

٣٥- قال محمود عيدان أحمد الدليمي عن الإباضية: وهم أتباع عبد الله أباض، ويرون أن كفار هذه الأمة يعنون بذلك مخالفهم من هذه الأمة براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار، وهم يعنون به كفر نعمة وليس كفر شرك، ويرون صحة مناكحة المخالفين من المسلمين والتوارث معهم، وأن دار مخالفهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه داربغي، ويقبلون شهادة مخالفهم ولا يجيزون قتالهم إلا بعد دعوتهم.

<sup>١</sup> عمان والحضارة الإسلامية، سعيد عبدالفتاح عاشور وعوض محمد خليفات، جامعة السلطان قابوس ، الخوض- سلطنة عمان، ( د، ط). ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣، ص ١٥٠.

<sup>٢</sup> عمان والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٤٩.

وقد بادت جميع فرق الخوارج أنفة الذكر ولم يتبق منها سوى طائفة الإباضية تقيم في عمان وفي جهات أخرى من شمال أفريقية، ويكره إباضية عمان أن يسموا خوارج، حيث إنهم لم يعد يربطهم بالخوارج سوى اسمهم وهم الآن متعايشون مع المسلمين على أكمل وجه، وقد استطاع المذهب الإباضي أن يثبت أصالته خاصة في العصور المتأخرة في عمان، حيث استطاع أن يعطي تطبيقات عملية حول سلطات الإمام وواجباته ومسؤولياته الإدارية والمالية والأمنية، يقول الدكتور فاروق عمر : وبعد أن نجح الإباضية في تأسيس كيانات سياسية في عمان والمغرب العربي فقد كان لا بد لهم من أن يغيروا ويعدلوا في نظريتهم ... وهنا لا بد من القول بأن المذهب الإباضي أظهر مرونة واعتدالاً ونظرة توفيقية بحيث يتلاءم مع الظروف السياسية والاجتماعية في عمان وفي ذلك يكمن سر نجاح الإباضية واستمرارها لأكثر من اثني عشر قرناً من الزمان.

وكان الإباضيون في المغرب العربي سواء أكانوا حكاماً أم ثواراً على قدر كبير من العفة والنزاهة والأخلاق الحميدة التي تؤكد تمسكهم بأهداب الشريعة الغراء، يقول الدكتور محمود إسماعيل : فحروب الإباضية في المغرب عموماً انطوت على مثالية مفرطة في معاملة الخصوم ونجد مصداقاً لذلك في حروب أبي يزيد ... فحسبه وفاؤه بالعهود التي كان يقطعها على نفسه ببذل الأمان لسكان المدن المفتوحة، ولم يلجأ إلى أساليب القمع والبطش إلا حين تمردت هذه المدن وانضمت لخصومه"<sup>١</sup>

٣٦- يقول الدكتور عمر بن الحاج صالح با عن الإباضية: "إن كل المسلمين الذين أتاح لهم الحظ الاتصال بالإباضية يجدون أن ما يقال عنهم غير صحيح، بل إنهم مسلمون كباقي المسلمين، قد يخطئون في اجتهاداتهم حيناً، ويصيبون في أكثرها كغيرهم تماماً، لأن المصدر واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله بلا أدنى تمييز بين هذا المذهب أو ذاك، غير أن المسلمين السنيين في الحقيقة ما زالوا يتقلبون في خطأين، فأما الأول: فخطأ تاريخي، والثاني: خطأ منهجي، والخطأ الراجع إلى التاريخ، هو في رأينا الاستمرار في خلط الأمور التي تداخلت يوماً ثم انفصم بعضها من بعض فيما بعد عملياً، إلا أن المؤرخين بقوا يضعونها في خانة واحدة، أقصد من هذا عدم التمييز بين الإباضية والخوارج، رغم انفصال زعيم الإباضية عن الخوارج، ومحاربتة إياهم ، ورغم شهادة التاريخ بأن أحد أكبر قادة الجيوش الإسلامية التي حاربت الخوارج حروباً متواصلة ضارية، كان إباضياً عمانياً، وهو المهلب بن أبي صفرة، ورغم اعتراف باقي المسلمين بأن الإباضية شديدة الغيرة على الإسلام والتمسك به ، والتفاني بالإخلاص له، وعدم الاتصاف بالتعصب المذهبي، ومع كل هذا فالمسلمون الآخرون ظلوا ينظرون إلى الإباضية – من خلال صورتهم المرسومة في كتب التاريخ – على أنهم مجرد فرقة من الخوارج، وهو ما جعل الناس تنتظر إليهم نظرتها إلى الخوارج في إطار ما قيل عنهم تاريخياً، سواء أكانوا مظلومين في الأحكام التي أنزلت عليهم أم كانوا حقاً كما وصفتهم كتب التاريخ التي نقرأها ونستقي منها معلوماتنا عنهم"<sup>٢</sup>، وقال أيضاً

<sup>١</sup> الصحابة ومكانتهم عند المسلمين، محمود عيدان أحمد الدليمي، رسالة ماجستير ( مرقونة ) قدمت إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ ١٩٩٣، ص ١٩٥.

<sup>٢</sup> دراسة في الفكر الإباضي ، عمر بن الحاج صالح با ، مكتبة الاستقامة، مسقط – سلطنة عمان، ط١، ١٩٨٦م، ص ٥٠.

متحدثاً عن تجاربه معهم:"غير أنني أرجع وأقول من جديد بما أن الإباضية ينفون عن أنفسهم التعصب والغلو فإنه ليس هناك داع يدعو إلى الإصرار أنهم خوارج، وأنهم يقولون كذا وكذا، لقد قابلت شيعياً وتحدثنا منفردين عن الإباضية، فوصفهم بأنهم شديداً التمسك بالكتاب والسنة، وأنهم ليسوا بمتعصبين، وقابلت بعد ذلك شافعيًا فحدثني نفس الكلام، مما يثبت عندي- مع تجاربي الشخصية – أنهم بعيدون عن التعصب والغلو، وهي شهادة أدليها لوجه الله ، والحق أنني لا أجد وجهاً يبرر إقناع إنسان في اعتناق أو اعتقاد ما لا يعتنقه ولا يعتقد به ، فإن أتصور بأن مبتغانا كأمة محمد صلى الله عليه وسلم هو إحسان الظن في بعضنا بعضاً ما وسعنا السعي إلى ذلك بغية توحيد صفوفنا وغيض الطرف عن زلات أولئك الذين نعتبرهم محدثين في أمرنا شيئاً ، طالما قد غيروا من مواقفهم أو أبدوا استعداداً لتغييرها ، ومعايير الحق تكمن في الاعتقادات والسلوك والعمل ، وليس في تقييم الأطراف المتنازعة بعضها بعضاً"<sup>١</sup>، ويخرج الدكتور عمر با بنتيجة نهائية يقول فيها:" الإباضية – على ضوء ما تقدم – ليسوا بخوارج، بل هم مذهب كأبي مذهب إسلامي آخر، وإن كان هناك قاسم مشترك بين الإباضية والخوارج، فهو ظهورهما إلى حيز الوجود في وقت واحد تقريباً ، وظهورهما إلى النور انبثاقاً من قضية واحدة ، وقاسم مشترك ، ألا وهو " رفض التحكيم"، وعدم إقرار شرعية الحكم الأموي المتمخض عن تمرد معاوية على الإمام الشرعي المنتخب بالشورى نصاً (أي الإمام علي) غير أنهما مختلفان باختلاف آرائهما ومبادئهما ، بل لقد حارب بعضهم بعضاً"<sup>٢</sup>

٣٧- قال الدكتور فهمي هويدي بعدما ذكر تصنيف الباحثين للإباضية ، فمنهم من اعتبرهم من الخوارج، ومنهم من اعتبرهم من الشيعة قال بعد هذا : " هذا التفاوت في تصنيف الإباضية يعكس جانباً من الالتباس الذي أحاط مذهبهم وأهله طوال القرون التي انقضت من التاريخ الإسلامي، وكان سبباً في حيرة بعض الباحثين وتخطيهم، فهم خرجوا فعلاً على الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان ، لكنهم يبرأون من الخوارج ، والتقاؤهم مع الخوارج في الموقف السياسي لم يؤثر على التقائهم مع أهل السنة في الموقف الفكري أو الفقهي ، وهم ينسبون إلى عبد الله بن إباض، بينما المؤسس الحقيقي لمذهبهم هو الإمام جابر بن زيد ، وهم دائماً كانوا جزءاً من جغرافية الواقع الإسلامي، لكنهم أسقطوا من الحساب عندما كتب التاريخ الإسلامي! وعلى كثرة وفخامة مصنفاتهم الفقهية، فإنها لم تر النور إلا منذ سنوات قليلة ، عندما أنشأت سلطنة عمان وزارة التراث القومي نهضت بتلك المهمة ... ورغم أن عدد الإباضية الآن قد لا يتجاوز مليونين من الأشخاص، إلا أن الحركة الإباضية كان لها حضورها في التاريخ الإسلامي، الذي لم يظهر بحجمه في مختلف كتب التراث، وما ظهر منها إما جاء مشوهاً أو مبتسراً للغاية، والشكوى من ندرة المعلومات في هذا الصدد سجلها أساتذة التاريخ الذين تناولوا الحركة الإباضية ، وفي مقدمتهم الدكتور سعيد عاشور والدكتور عوض خليفات.

<sup>١</sup> دراسة في الفكر الإباضي ، مرجع سابق ، ص ٧٥.

<sup>٢</sup> دراسة في الفكر الإباضي ، مرجع سابق، ص ٩٠.

<sup>٣</sup> أزمة الوعي الديني ، فهمي هويدي، (د.ر)، (د.ط)، اليمن ، ١٩٨٩م، ص ٧٥

فموسوعات التاريخ الإسلامي لا تمر على عمان وأهلها الإباضية إلا مروراً سريعاً وخاطفاً ، ودورهم في الأندلس غير مذكور على الإطلاق ، وعلماء الإباضية لا يشار إليهم في كتب الطبقات، وأشهر تلك الكتب طبقات ابن سعد ، لم يذكر سوى الإمام جابر بن زيد في عرض مقتضب، ولفت ذلك نظر بعض الباحثين العمانيين ، فقرر مؤلف كتاب ( عمان تاريخ يتكلم ) أن ابن سعد أشار الى الإمام ابن زيد رغم أنه<sup>١</sup>.

وأضاف هويدي الى أن تبرئة الإباضية من تهم الخوارج هي المرحلة الأولى لتوحيد الصف الإسلامي، فقال : "... يعنينا أن ينتبه الجميع الى أن تبرئة الإباضية هي بداية الرحلة وليست منتهاها، وإن قضية وحدة الصف الإسلامي مسؤولية تنتظر من ينهض بها ، وهي معلقة في رقاب كل العاملين في الحقل الإسلامي، وإنجازها يعد خطوة مهمة باتجاه إنجاز المشروع الإسلامي"<sup>٢</sup>.

٣٨- قال الدكتور مختار نور الدين عثمان يصف الإمامة الإباضية في عمان بالعدل: " ويمثل قيام الإمامة في عمان تنويجاً لجهود الحركة الإباضية في إقامة نظامها الإسلامي القائم على العدل والشورى بعد فشل محاولتها في إقامة أول إمامة لها في اليمن على يد الإمام " طالب الحق " عبد الله بن يحيى الكندي عام ١٢٩هـ/ ٧٤٦م.

مثل حكم الإمامة الأولى تحقيقاً لآمال الإباضية في الشورى والعمانيين في الاستقلال ، فقد أظهر الجلندي بن مسعود العدل وقام بالكثير من التنظيمات الإدارية والعسكرية ، فمن الناحية الإدارية عين على المدن العمانية عدداً من الولاة والقضاة ، أما من الناحية العسكرية فقد قسم الشراة الى مجموعات مكونة من ٢٠٠ الى ٤٠٠ فرد، وجعل على كل مجموعة قائداً من أهل العلم والفقه والحزم ، وجعل على كل عشرة من الشراة مؤدباً يعلمهم القرآن ، أما بالنسبة للنظم المالية ، فقد امتنع عن أخذ الصدقات " العشر " من سكان السواحل لعدم قدرة الدولة على حماية التجار في البحر ، ومن الناحية الدينية الاجتماعية فقد قنن لباس المرأة عند خروجها ، وفقاً لما يأمر به الشرع ، وامتنع عن تحصيل الضريبة من تجار الساحل الذين لا تقوى الدولة على حمايتهم ، وقوى في عهده شأن الإباضية في عمان ، ووفدت إليها وفود الدعاة من البصرة واليمن وحضرموت"<sup>٣</sup>.

وتحدث عن دور الإباضية في صهر العصبية القبلية في بوتقة الإسلام العليا والسمو بهم ، فقال : " سعى الإباضية لصهر العمانيين في بوتقة الإسلام العليا والسمو بهم عن التعصب القبلي، وقد تمثل ذلك في قمع الإمام الجلندي لحركة المعارضة التي قادها نفر من أهله ، وهم جعفر بن سعيد

<sup>١</sup> أزمة الوعي الديني، مرجع سابق، ص ٨٠

٥٢- عمان عبر التاريخ، مختار نور الدين ومحمود عبدالرحمن الشيخ وعلي حسن اللواتيا، مكتبة الفلاح، دبي- الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٦٨.

٥٣- عمان عبر التاريخ، مرجع سابق، ص ٦٨.

٥٤- عمان الديمقراطية الإسلامية، حسين عبيد غانم غباش، دار الجديد، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٥٩.

٥٥- عمان الديمقراطية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٠.

الجلنداني وابنيه النظر وزائدة، فالقراية لم تحل بينه وبين قتلهم لقاء معارضتهم للإمامة بل إنه كاد أن يفقد الإمامة حينما أبدى حزنه عليهم ، فقد استنكر عليه الإباضية ذلك قائلين : " أعصية يا جلندى "، فقال : لا ، ولكن الرحمة ، فعرضوا عليه حينئذ الاعتزال فوافق لكنهم ما لبثوا أن طلبوا منه العودة للإمامة فاستجاب لهم "¹.

٣٩- يقول الدكتور حسين عبيد غانم غباش يصف الإباضية بالاعتدال : " الحركة الإباضية أكثر الجماعات اعتدالاً ، اضطرت إثر الانقسام الذي عرفه حزب المحكمين (٦٥هـ/٦٨٥م) الى تأكيد مواقفها المذهبية تجاه الجماعات الأخرى ، وعلى الأخص تجاه الأزارقة المتطرفة، وقد كلف عبد الله بن إياض الذي كان يتمتع بحماية قبيلته القوية ، بهذه المهمة ، في حين استمر جابر بن زيد إمام الحركة الحقيقي ، يعمل سراً ليتجنب تعريض نفسه للخطر، وتلك هي الفترة التي سميت فيها الحركة بـ "الإباضية"².

وتحدث غباش عن المبادئ الأساسية للحركة الإباضية ، فقال : " ومن بين المبادئ الأساسية التي حددتها هذه الحركة وتميزت بها نشير هنا الى ثلاثة مبادئ هامة:

أولاً: أن الإباضية أكدت على الاعتدال كمبدأ أساسي في محاكمتها للأمر، ورفضت خلافاً لجماعات أخرى مبدأ الخروج ، وبعبارة أخرى رفضت مهاجمة أية جماعة أخرى أو الدخول في حرب ضد أي طرف آخر إلا في حال تعرضها لاعتداء ، كما أقرت بالمقابل المبدأ المعروف في ذلك الحين باسم "القيود" وفضلت العمل السلمي والسري غالباً، لنشر المذهب الإباضي.

ثانياً: تمسكت الحركة بعدم الثورة على الحكام القائمين ، شريطة أن يكونوا عادلين وأن يراعوا الشرائع الإسلامية ، وبالمقابل التزمت الحركة مذهبياً بإعلان إمامة الظهور لإسقاط حاكم مستبد وإحلال الإمامة محله.

ثالثاً: أقرت الحركة مرحلة الكتمان كمرحلة هامة للمحافظة على بقاء العقيدة وسلامة الحركة ضد الاضطهاد"³.

وقال عن موقف الإباضية بالخوارج: " أما بالنسبة لموقف الإباضيين من الخوارج فإن عبد الله بن إياض يحدده ، كما يلي: " إننا نشهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء ، وإننا لمن والاهم أولياء، بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا" ، ويحسم عبد الله بن إياض بهذا الموقف الخلاف الحاصل بين المؤرخين في موضع موقف الإباضية من الخوارج ، كما يحدد موقفاً آخر للإباضيين من الأزارقة هذه المرة ، وهي حركة انحرفت عن تعاليم الدين الإسلامي ، وحاول أعداء الخوارج مما هاتهم بها :

إنا نبأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس، لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظهر لنا، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد إيمانهم"<sup>١</sup>.

وقال غباش عن موقف الإباضية تجاه المذاهب الإسلامية الأخرى: "تتوجب الإشارة إلى أن للإباضيين موقفاً متسامحاً تجاه المذاهب الإسلامية، وبشكل خاص أهل السنة وعلى عكس بعض حركات الخوارج مثل الأزارقة فالزواج والتوارث من أفراد المذاهب الإسلامية الأخرى مقبول ومحلل عند الإباضيين ويميز هذا المبدأ الإباضيين عن بعض الفرق الأخرى من الخوارج، والواقع أن الإباضيين قد ميزوا حركتهم عن الخوارج بأن صياغتهم للخطوط العريضة للمذهب الإباضي في مرحلة الكتمان الأولى"<sup>٢</sup>.

وقال عن مصدر التشريع عند الإباضية: "ليست الإباضية فرقة بالمعنى الضيق للكلمة، بل هي بالأحرى مدرسة فكرية تستند إلى خمسة مصادر تشريعية: القرآن، السنة، الإجماع، القياس، والاستدلال، وتوفر هذه المصادر لدى الإباضيين الإلهام الروحي، وقاعدة الدستور السياسي وروح الفلسفة الاجتماعية"<sup>٣</sup>.

ويصرح غباش أن الحركة الإباضية هي وريثة لدولة الخلافة الرشيدة، فقال: "حركة الإباضية وريثة تقاليد دولة الخلافة الرشيدة، وصاحبة الرؤية الخاصة والخبرة بما يجب أن تكون عليه الدولة الإسلامية المثالية، لهذه الحركة وجهة نظر حول مسألة الخلافة تبدو لنا غاية في الأهمية إلى حد لا يمكن معه لأحد ادعاء معرفة التاريخ الإسلامي بعمق دون أخذها بعين الاعتبار"<sup>٤</sup>.

٤٠- قال الأستاذ محمد أحمد أبو زهرة: "الإباضية هم أتباع عبد الله بن أباض، وهم أكثر الخوارج اعتدالاً، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو، ولذلك بقوا ولهم فقه جيد، فيهم علماء ممتازون، ويقوم طوائف منهم في بعض واحات الصحراء الغربية، والبعض الآخر في بلاد زنجبار، ولهم آراء فقهية، وقد اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم"<sup>٥</sup>.

٥٦- المصدر السابق، ص٦٣

٥٧- المصدر السابق، ص٦٦

٥٨- المصدر السابق، ص٦٧

٥٩- المصدر السابق، ص٣٤٧

٦٠- المذاهب الإسلامية، محمد أحمد أبو زهرة، (د،ر)، (د،ط)، (د،ت)، ص١٥٠

| الفهرس |                                 |        |
|--------|---------------------------------|--------|
| م      | الموضوع                         | الصفحة |
| -      | الحلقة الثالثة                  | ٤٤     |
| ٢١     | عبد الرحمن الصابوني             | ٤٥     |
| ٢٢     | فاليري هوفمان                   | ٤٦     |
| ٢٣     | محمد بن عبد الرحمن محمد الضويني | ٤٧     |
| ٢٤     | عبد الله آل السيف               | ٥٢     |
| ٢٥     | أحمد إلياس حسين                 | ٥٤     |
| ٢٦     | يوسف بدوي                       | ٥٦     |
| ٢٧     | إبراهيم عبد العزيز بدوي         | ٥٨     |
| ٢٨     | عمر فوزي                        | ٦٠     |
| ٢٩     | أحمد فراج حسين                  | ٦١     |
| ٣٠     | محمد عبد اللطيف صالح الفرфор    | ٦١     |
| -      | الحلقة الرابعة                  | ٦٣     |
| ٣١     | عبد الرحمن جعفر بن عقيل         | ٦٤     |
| ٣٢     | محمد قرقرش                      | ٦٩     |
| ٣٣     | سالم فرج مفلح                   | ٧١     |
| ٣٤     | عبد الفتاح عاشور                | ٧٣     |
| ٣٥     | محمود عيدان أحمد الدليمي        | ٧٥     |
| ٣٦     | عمر بن الحاج صالح با            | ٧٦     |
| ٣٧     | فهمي هويدوي                     | ٧٧     |
| ٣٨     | مختار نور الدين عثمان           | ٧٨     |
| ٣٩     | حسين عبيد غانم غباش             | ٧٩     |
| ٤٠     | محمد أحمد أبو زهرة              | ٨١     |

## \*للتواصل\*

رابط مدونتي :

<http://nizwa1987.blogspot.com/>

بريدي الإلكتروني :

[k.alhogan@hotmail.com](mailto:k.alhogan@hotmail.com)